

تأليف

الشيخ محمد علي مشعل

اعتنى به

الدكتور عبد الباري بن محمد علي مشعل



الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

للتواصل مع المؤلف

الكويت ص ب ٩٥٧ السرة - الرمزي البريدي: ٤٥٧١٠

هاتف نقال: ٩٦٤٨١٧٦ / ٠٠٩٦٥ فاكس: ٢٤١٣٣٦٩/ ٠٠٩٦٥

website : www. mashal.ws

Email : bari6667@hotmail.com

a@www.net

المراسلات باسم: **الدكتور عبد الباري مشعل**



الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية

هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥

الجهراء: ص. ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ١٠٣٠

Website: www. gheras. com

E-Mail: info@ gheras.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التعريف بهذا الكتاب

انشغل الشيخ المؤلف أثناء إقامته في المدينة المنورة ابتداء من عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م بتأسيس الشباب من الناحية العلمية قبل تفرقهم في بلدان شتى للدراسة في تخصصات غير العلوم الشرعية، فأعد لهذا الغرض مختصرات في النحو والسيرة والعقيدة والفرائض والتاريخ وقام بتدريسها في حلقات علمية موجهة للشباب بصفة خاصة ولطلبة العلم بصفة عامة في كل من المدينة وجدة ومكة، وقد من اللّه على الشيخ بتخريج عدد كبير من الطلاب الذين درسوا على يديه تلك المختصرات.

وهذا المؤلف نتاج تلك المرحلة، وقد حوى ما لا يسع المكلف جهله في موضوع العقيدة الإسلامية، من الإيمان باللّه، وأسماء اللّه وصفاته، والإيمان بالملائكة، وما يلحق به من العوالم الغيبية، والإيمان بالكتب السماوية، والإيمان بالأنبياء والرسل، وعلامات الساعة، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر، وختم بالإسراء والمعراج.

وهو بفضل اللّه شامل لموضوعه مع الاختصار، وهو كما أراده الشيخ الوالد يفي بحاجة طالب العلم في هذا الموضوع، وهو بمستوى مقرر دراسي متكامل في المعاهد والمدارس والجامعات، ويمكن الاعتماد عليه في إعادة تأهيل الأئمة والخطباء والدعاء.

الدكتور

عبد الباري بن محمد علي مشعل

ربيع الآخر ١٤٢٧هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة في علم التوحيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن علم التوحيد أشرف العلوم، بل هو أصل العلوم وما سواه فرع؛ لأنه يتعلق بمعرفة اللَّه تعالى ويتعلق بذات اللَّه وصفاته وأسمائه ولأنه يبحث في أركان الإيمان.

الحكم: ثلاثة أقسام:

١- **شرعي**: وهو ما اقتضاه خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين من طلب أو تخيير أو وضع.

٢- **عقلي**: وهو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرار لا وضع واضع مثل ١ + ١ = ٢ .

٣- **عادي**: وهو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بواسطة التكرار كالحكم على النار بأنها محرقة.

الأحكام الشرعية: قسمان:

١- **تكليفية**: وهي خمسة: الواجب والمحرم والمندوب والمكروه والمباح.

٢- **وضعية**: وهي جعل الشيء سبباً أو شرطاً أو مانعاً أو صحيحاً أو فاسداً.

الأحكام العقلية ثلاثة:

١- **الواجب**: وهو ما لا يتصور في العقل عدمه مثل وجود الخالق سبحانه.

٢- **المستحيل**: وهو مالا يتصور في العقل وجوده مثل الشريك للّه تعالى.

٣- **الجائز**: وهو ما يتصور في العقل وجوده وعدمه مثل حياة فلان أو موته.

معرفة اللّه واجبة شرعاً لا عقلًا وعليه جمهور أهل السنة والجماعة فأهل الفترة ناجون لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسرَاء: ١٥].

والمعتزلة وبعض الماتريديه يقولون: معرفة اللّه تعالى واجبة عقلًا، وأهل الفترة مكلفون بمعرفة اللّه، وإن لم يرد شرع، ولم يأت نبي، ولم ينزل كتاب، ولم يجئ وحي.

والأشاعرة يقولون: معرفة اللّه، وسائر الأحكام وجبت بالشرع لكن بشرط العقل.

والماتردية يقولون: معرفة اللّه وجبت بالعقل وسائر الأحكام بالشرع.

والمعتزلة يقولون: معرفة اللّه والأحكام وجبت بالعقل.

شروط التكليف أربعة:

البلوغ والعقل وبلوغ الدعوة وسلامة الحس.

فالصبي ليس بمكلف، فمن مات قبل البلوغ فهو ناج ولو من أولاد الكفار، وإنما المكلف وليُّ الصبي بتعليمه الفرائض والسنن ليفعلها وبيان المحرمات والمكروهات ليجتنبها.

والمجنون ليس بمكلف لكن محل ذلك إن بلغ مجنوناً واستمر على ذلك حتى مات، بخلاف مالو بلغ عاقلًا ثم جن وكان غير مؤمن ومات كذلك فهو غير ناج.

والذي لم تبلغه الدعوة ليس بمكلف. بأن نشأ في شاهق جبل أو في جزيرة ولم ير أحداً ولم تبلغه الدعوة.

ولذا فإن المذهب الحق أن أهل الفترة ناجون وهم الذين لم يرسل إليهم رسول ويطلقون على الأكثر على الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فإن قيل: أخبر ﷺ بأن جماعة من أهل الفترة في النار كامرئ القيس وحاتم الطائي وبعض آباء الصحابة، فالجواب: إن أحاديث هؤلاء استثناء من أهل الفترة لأمر يختص بهم.

وغير سليم الحواس ليس بمكلف كمن خلق أعمى أصم أبكم أو أعمى أصم. بخلاف من خلق أعمى فقط أو خلق أصم فقط فإنه مكلف.

معنى معرفة اللّه عز وجل:

معرفة ما يجب للّه سبحانه وما يستحيل على اللّه سبحانه وما يجوز في حقه سبحانه وبتعبير آخر معرفة صفاته وسائر أحكام الألوهية والربوبية.

ولابد بعد المعرفة من الإيمان وهو الإذعان الناشئ عن التصديق والقبول، والإيمان يكون عن علم ويكون عن تقليد والعلم لأصحاب الأدلة والتقليد للعوام.

والإيمان عن تقليد: الأخذ بقول الشيخ من غير دليل.

والتقليد في العقائد جائز لغير القادر على معرفة الدليل كما هو جائز في الأحكام لعموم قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النّحل: ٤٣].

والإيمان: قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان

والمراد بالقول باللسان: النطق بالشهادتين وهو شرط لإجراء أحكام المؤمنين على الكافر إذا أسلم: من التوارث والتناكح، والصلاة عليه والصلاة خلفه، والدفن في مقابر المسلمين ومطالبته بالصلوات والزكوات وغير ذلك، ومن صَدَّق بقلبه ولم يقر بلسانه لا لعذر منعه ولا لإباء بل اتفق له ذلك فهو مؤمن عند اللّه وغير مؤمن في الأحكام الدنيوية.

فيخرج المعذور كالأبكم مع وجود قرينة تدل على إيمانه وكمن اخترمته المنية قبل النطق من غير تراخ فهو مؤمن في الدنيا والآخرة.

ويخرج الآبي عن النطق بالشهادتين فهو كافر في الدنيا والآخرة.

والمراد بالعمل: الخضوع له والانقياد والإذعان القلبي فمن استحل المحرم أو عاند الشرع أو شك في مشروعيته فهو كافر فيما علم من الدين بالضرورة. وأما العمل مع الخضوع له والإذعان فهو شرط كمال.

ويخرج **بالاعتقاد بالجنان** من أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه فهو المنافق تجري عليه الأحكام الدنيوية وهو غير مؤمن عند اللّه.

الإسلام: هو ما جاء به النبي ﷺ من عند اللّه سبحانه وتعالى، أو

ما شرعه اللّٰه على لسان نبيه ﷺ، أو ما جاء به النبيون من عند اللّٰه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٩] .

أمور الدين أربعة: الصحة بالعقد، وصدق القصد، والوفاء بالعهد، واجتناب الحد.

١- **الصحة بالعقد**: الجزم بعقائد أهل السنة.

٢- **صدق القصد**: العبادة بالنية والعمل بالإخلاص[1].

٣- **الوفاء بالعهد**: امتثال ما أمر اللّٰه به.

٤- **اجتناب الحد**: ترك ما نهى اللّٰه عنه.

ما يشتمل عليه الدين: العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والأخوة، والحكم بما أنزل اللّٰه.

شبه بعضهم الإسلام ببيت: أساسه العقائد تقوم عليه أربع جدران: العبادات، والمعاملات (تشريع وأنظمة)، والأخلاق، والأخوة، وسقف يحكمها جميعاً هو الحكم. وفي الحديث: «لَتُنْتَقَضَنَّ عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة» (رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح مجمع الزوائد).

---

(١) العبادة بالنية: قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» [متفق عليه] فسر الحديث علماء ثقات فقالوا: إن صحة الأعمال بالنيات فلا يصح عمل بلا نية وفسر الحديث علماء ثقات آخرون فقالوا: إن ثواب الأعمال بالنيات فلا يثاب على العمل بدون نية.
العمل بالإخلاص: فالإخلاص شرط للقبول فلا يقبل عمل إلا أن يكون خالصاً لوجهه الكريم سبحانه قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

الإسلام والإيمان:

الإسلام: التسليم الظاهر (الانقياد والإذعان) لما جاء به النبي ﷺ.

أركانه خمسة: «شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، وإقام الصلة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت لمن استطاع سبيلًا».

وقد عرف الرسول ﷺ الإسلام: «أن تسلم قلبك للّه وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك» (رواه أحمد بإسناد صحيح. تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي) وعرفه أيضاً بأركانه في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام.

وعرف المسلم في الحديث قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١] (رواه مسلم) فعرف المسلم بأبرز صفة من صفاته.

الإيمان: التصديق القلبي (اليقين الصادق) بما جاء به النبي ﷺ والمراد الإذعان لما جاء به والقبول له.

أركانه ستة: الإيمان باللّه تعالى وملائكته وكتبه ورسوله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وقد عرف رسول اللّه ﷺ الإيمان بأركانه في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام.

وعرف المؤمن في الحديث بقوله ﷺ: «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»[١] فعرفه بأهم صفة من صفاته وهي الأمانة.

---

(١) أصل الحديث «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» قال الحاكم في المستدرك في زيادة المؤمن: ولم يخرجا هذه الزيادة وهي صحيحة على شرط مسلم.

وفي حديث أنس قلما خطبنا رسول اللّه ﷺ إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له» (رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه، وصححه السيوطي، الجامع الصغير للسيوطي).

وعلى ما تقدم: فالإسلام: الامتثال والانقياد الظاهري للعمل الصالح أي الامتثال بكل ما جاء به الإسلام كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك وعدم الإنكار والجحود، عمل أو لم يعمل، والنطق دليل عليه.

والإيمان: التصديق القلبي والنطق دليل عليه، والامتثال والانقياد الظاهري دليل عليه.

فصح أن يقال: الإسلام قول وعمل، وهذان لابد منهما في الإيمان.

فصح أن يقال: الإيمان قول وعمل واعتقاد.

ولا يكون المؤمن إلا مسلماً فكل مؤمن مسلم، ولا عكس.

وأما إطلاق الشرع عليهما فالحق أنهما وردا:

أولًا: على سبيل الترادف والتوارد بأن جعل الإسلام التسليم بالقلب والظاهر جميعاً، وكذلك الإيمان بعد تعميمه بإدخال الظاهر في معناه. ودليل هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فاطر: ٣٥، ٣٦] ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد (لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبناته).

وقال تعالى أيضاً: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] .

ثانياً: على سبيل الاختلاف بأن جعل الإسلام عبارة عن التسليم ظاهراً، والإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط، ودليله قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجرَات: ١٤] .

ثالثاً: على سبيل التداخل بأن جعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل، والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الإسلام وهو التصديق بالقلب فقط ودليله: أخرج أحمد والطبراني بإسناد صحيح أنه ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال ﷺ: «الإسلام» فقيل: أي الإسلام أفضل؟ فقال ﷺ: «الإيمان».

ورجح الجمهور القول بأن الإيمان يزيد وينقص بسبب العمل ونصوص القرآن والسنة واضحة بهذا منها:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفَال: ٢] ومنها حديث مسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها لا إله إلا اللّه وأدناها إماطة الأذى عن الطريق».

الإيمان باللّه تعالى إجمالًا: أن نعتقد أن اللّه تعالى متصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقصان.

الإيمان باللّه تعالى تفصيلًا: أن نعتقد أن اللّه تعالى متصف بما وصف به نفسه في كتابه الكريم، وبما وصفه به نبيه ﷺ، مع نفي التشبيه له بخلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] .

العقائد الإسلامية أربعة أقسام رئيسية:

١- الإلهيات: الصفات، والأسماء.

والصفات: صفات ذات، وصفات أفعال.

٢- النبوات: الأنبياء، الرسل، صفاتهم، معجزاتهم، كتبهم، يلحق بذلك الأولياء والكرامات.

٣- الروحانيات: الملائكة، والجن، والروح.

٤- السمعيات وهي قسمان:

١- علامات الساعة: البرزخ، البعث، الحشر، الحساب، الميزان، الصراط، الجنة، النار.

٢- القضاء والقدر.

* * *

أسماء اللّه وصفاته

أسماء اللّه وصفاته توقيفية، وقد أجمع أهل السنة على منع كل إطلاق لم ترد به الشريعة، سواء كان في حق اللّه تعالى أو في حق أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، أو في حق دينه.

وقال الشيخ (أبو الحسن الأشعري): «وما أطلق الشرع في حقه تعالى، أو في حق أنبيائه أو في حق دينه أطلقناه، وما منع منعناه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع ألحقناه بالممنوع حتى يرد الإذن في إطلاقه».

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: «ومالم يرد فيه إذن ولا منع نظرنا فيه، فإن أوهم ما يمتنع في حقه تعالى منعناه، وإن لم يوهم شيئاً من ذلك رددناه إلى البراءة الأصلية ولم نحكم فيه بمنع ولا إباحة».

فأنت ترى أنه اتفق الإمامان على منع كل إطلاق يوهم محظوراً في حق اللّه تعالى، وتبعهما العلماء على ذلك قاطبة. (اهـ من لطائف المنن ص٢، ص٢٧).

أسماء اللّه تعالى:

روى البخاري ومسلم: «للّه تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر» وفي رواية للبخاري «من أحصاها دخل الجنة».

ورواه الترمذي وابن حبان والحاكم بسند غريب للترمذي ولغيره بسند صحيح. بزيادة:

هو اللَّه الذي لا إله إلا هو اللَّه[١] الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور.

وهذه الأسماء ليست كل ما ورد بل وردت الأحاديث بغيرها مثل: «الحنان، المنان، البديع، المغيث، ذو الطَّول، ذو المعارج، ذو الفضل، الخلَّاق».

قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه المقصد الأسنى (ص١٥٧):

إن أسماء اللَّه تعالى من حيث التوقيف غير مقصورة على تسعة وتسعين اسماً بل ورد التوقيف بأسماء سواها، إذ في رواية أخرى عن

(١) اللَّه: علم على الذات العلية الواجب الوجود دائماً.

أبي هريرة رضي الله عنه إبدال البعض... بما يقرب منها، وإبدال بما لا يقرب.

فأما الذي يقرب فالأحد بدل الواحد، والقاهر بدل القهار، والشاكر بدل الشكور، والذي لا يقرب كالهادي، والكافي، والدائم، والبصير، والمُنَوِّر، والمبين، والجميل، والصادق، والمحيط، والقريب، والقديم، والوتر، والفاطر، والعلام، والمليك، والأكرم، والمدبر، والرفيع، وذي الطول، وذي المعارج، وذي الفضل، والخلاق.

وقد ورد في القرآن ما ليس متفقاً عليه في الروايتين جميعاً كالمولى، والنصير، والغالب، والقريب، والرب، والناصر، ومن المضافات كقوله شديد العقاب، وقابل التوب، وغافر الذنب، ومولج الليل في النهار، ومولج النهار في الليل، ومخرج الحي من الميت، ومخرج الميت من الحي.

وقد ورد في الخبر أيضاً: السيد، إذ قال رجل لرسول الله ﷺ: يا سيد. فقال: «السيد هو الله تعالى» وكأنه قصد المدح في الوجه[1] (رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود عن عبد الله بن الشخير) وإلا فقد قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» (رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد).

والديَّان أيضاً قد ورد وكذلك الحنان، والمنان.

ومما وقع عليه الاتفاق بين العلماء والفقهاء من الأسماء «المُريد،

(١) لم يرض بقوله يا سيد؛ لأنه مدح في الوجه.

والمتكلم، والموجود، والشيء، والذات، والأزلي، والأبدي» وإن ذلك مما يجوز إطلاقه في حق اللَّه تعالى.

وقد رأيت من زاد أسماء أخرى ربما كان مكرراً بعضها مع ما سبق وهي:

المولى، الصادق، المحيط، القريب، الأكرم، القديم، المدبر، الجميل، الصانع، الديان، سبوح، الرب، الشافي، العفي، الفعال، القدير، الغالب، ذو الطول، كاشف الضر، مالك الأملاك، الجواد، الفاطر، البادئ، النصير، الناصر، المغيث، الوتر، المبين، الحافظ، الدائم، الحنان، المنان، الستار، الكفيل. (اهـ من كلام الغزالي).

تفسير الأسماء باختصار:

الرحمن: المنعم بجلائل النعم.

الرحيم: المنعم بدقائق النعم.

الملك: ذو الملك المتصرف في كل ملكه كما يشاء.

القدوس: المطهَّر والمنزه عن صفات النقص والحدوث.

السلام: ذو السلام من كل نقص وآفة في ذاته وصفاته وأفعاله أو معطي السلام والأمن لمن يشاء.

المؤمن: المصدق لرساله بالمعجزات أو المعطي الأمان لمن يشاء.

المهيمن: الرقيب المبالغ في الرقابة والحفظ فهو العالم الشاهد لا يغيب عنه مثقال ذرة.

العزيز: الغالب الذي لا يغلب.

الجبار: المصلح لأمور عباده المتكفل بمصالحهم أو المتعالي من أن يناله كيد كائد.

المتكبر: ذو الكبرياء.

الخالق: الموجد للمخلوقات من غير أصل.

البارئ: الموجد لها من أصل.

المصور: المبدع لصور الأشياء لكل شيء صورة تميزه عن غيره.

الغفار: كثير المغفرة.

القهار: الخلق في قبضته ومسخر لقضائه.

الوهاب: كثير الهبات.

الرزاق: خالق الأرزاق ومفيضُها على العباد.

الفتاح: الحاكم بين العباد أو الناصر لمن شاء أو من يفتح خزائن رحمته لعباده.

العليم: الذي علم ما كان وما يكون أولًا وآخراً ظاهراً وباطناً.

القابض: مضيق الرزق على من يشاء.

الباسط: موسع الرزق على من يشاء.

الخافض: يخفض من يشاء من الكفار والفجار.

الرافع: يرفع من يشاء - يرفع الأبرار.

المعز: يعز من يشاء - يعز المؤمنين بطاعته.

المذل: يذل من يشاء - يذل الكافر - يهدد العصاة بمعصيتهم.

السميع: يدرك بسمعه الموجودات بدون حاسة.

البصير: يدرك كل شيء ببصره بدون حاسة.

الحكم: الذي لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه.

العدل: العادل المبالغ في العدل.

اللطيف: بعلمه فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور لطيف بأوليائه ييسرهم لليسرى ويجنبهم العسرى لطيف بعباده.

الخبير: العالم ببواطن الأمور.

الحليم: لا يعجل بالعقوبة.

العظيم: البالغ أقصى مراتب العظمة.

الغفور: كثير الغفران.

الشكور: الذي يعطي الجزيل على العمل القليل.

العلي: البالغ علو الرتبة بلا نهاية.

الكبير: في كل شيء فله الكبرياء والعظمة.

الحفيظ: الذي يحفظ الأشياء من الزوال والاختلال ما شاء ذلك أو يحفظ على العبيد أعمالهم ليجزيهم عليها.

المقيت: خالق الأقوات وموصلها إلى مقتاتها، أو المقيت بمعنى المقتدر، وقيل المقيت: الحفيظ.

الحسيب: الكافي لعباده، أو الذي يحاسب عباده يوم القيامة.

الجليل: الكامل في الصفات والعظيم وله الجلال.

الكريم: يعطي من غير عوض.

الرقيب: الذي يراقب الأشياء ويلاحظها فلا يغيب عنه مثقال ذرة.

المجيب: من دعاه.

الواسع: المحيط بكل شيء علماً، أو الجواد الذي عمت رحمته.

الحكيم: ذو الحكمة يضع الأمور مواضعها.

الودود: المحب الخير لكل خلقه بمعنى الواد ويكون بمعنى المودود: المحبوب لأنبيائه ورسله وأوليائه.

المجيد: لكثرة صفاته المجيدة.

الباعث: للرسل وباعث من في القبور.

الشهيد: المطلع على كل شيء.

الحق: الثابت الذي لا يتحول أو المظهر للحق.

الوكيل: القائم بأمور عباده.

القوي: له كمال القوة وهو ذو القدرة.

المتين: له كمال القدرة والقوة.

الولي: المتولي أمر خلقه.

الحميد: لكثرة صفاته الحميدة. المحمود المستحق لكل ثناء.

المحصي: الذي أحصى بعلمه كل شيء.

المبدئ: الذي أظهر الأشياء من العدم.

المعيد: الذي يعيدها بعد العدم.

المحيي: الذي خلق الحياة في كل حي.

المميت: الذي خلق الموت في كل من أماته.

الحي: المتصف بالحياة وحياته لذاته بدون روح.

القيوم: القائم بنفسه والمقيم لغيره.

الواجد: الغني المطلق.

الماجد: ذو المجد.

الواحد: المتصف بالوحدانية.

الأحد: لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

الصمد: المقصود بالحوائج ويفزع إليه بالشدائد.

القادر: المتصف بالقدره.

المقتدر: ذو القدرة البالغة.

المقدم: يقدم من يشاء.

المؤخر: يؤخر من يشاء.

الأول: قال ﷺ: «أنت الأول فليس قبلك شيء» لا أول لوجوده. أول بلا بداية.

الآخر: قال ﷺ: «وأنت الآخر فليس بعدك شيء» (رواه مسلم) لا آخر لوجوده. آخر بلا نهاية.

الظاهر: قال ﷺ: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء» (رواه مسلم) الجلي وجوده بآياته الباهرة قال البخاري: الظاهر على كل شيء علماً.

الباطن: قال ﷺ: «وأنت الباطن فليس دونك شيء» (رواه مسلم) الخفي بكنه ذاته عن مخلوقاته. قال البخاري: الباطن على كل شيء علماً.

الوالي: يتولى كل شيء ويملكه.

المتعالي: عن النقائص المنزه عما يقول المشركون.

البر: المحسن.

التواب: الذي يقبل التوبة عن عباده بعد أن وفقهم لها.

المنتقم: المعاقب لمن يستحق العقوبة.

العفو: كثير العفو عن ذنوب عباده يمحو السيئات فهو أبلغ من الغفور لأن الغفر الستر.

الرؤوف: شديد الرأفة والرحمة.

مالك الملك: الذي يجري في ملكه ما يشاء.

ذو الجلال والإكرام: الذي لا شرف ولا كمال إلا له وحده ولا كرامة ولا مكرمة إلا منه.

المقسط: العادل.

الجامع: جامع الناس ليوم لاريب فيه.

الغني: بذاته عن جميع المخلوقات.

المغني: لمخلوقاته.

المانع: يمنع من يشاء ويدفع الهلاك عمن يشاء.

الضار: يضر من يشاء وفق حكمته.

النافع: ينفع من يشاء وفق -حكمته.

النور: الظاهر بنفسه المظهر لغيره.

الهادي: الذي أعطى كل شيء ثم هدى أو الهادي إلى الطريق المستقيم.

البديع: المبدع لكل شيء من العدم.

الباقي: الدائم الوجود فلا يناله فناء.

الوارث: الذي يرث كل شيء بعد فناء الملاك.

الرشيد: الذي أقواله رُشْد وأفعاله رُشْد وهو مرشد الخلق.

الصبور: على المحاربين له ولرسله يبارزونه بالمعاصي ويرزقهم.

صفات اللّه تعالى:

الذي عليه أهل السنة والجماعة أنهم يُثبتون للّه تعالى جميع الصفات التي وصف بها نفسه في قرآنه ووصفه بها نبيه ﷺ على الوجه الذي يليق به من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل. وينزهون اللّه عن كل ما لا يليق به.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وفيما يأتي شرح لمعاني عدد من الصفات الواردة في القرآن الكريم.

١- **صفة الوجود**: ومعناها: أن ذات اللّه موجودة، ووجوده لذاته غير مفتقر لغيره.

لا يحتاج لمحل ولا مخصص: أي لا يحتاج لمكان ولا موجد، فهو غني عن كل ما سواه مفتقر إليه كل ما عداه.

وضده: العدم وهو مستحيل على اللّه.

الدليل على وجوده: وجود هذه المخلوقات.

قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

٢- **القدم**: لا أول لوجوده وضده: الحدوث وهو مستحيل على اللّه تعالى.

٣- **البقاء**: لا آخر لوجوده وضده: الفناء وهو مستحيل على اللّه تعالى.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

ملاحظات:

١- عَدَمُنا في الأزل لا أول له وله آخر.

٢- المخلوقات لها أول ولها آخر ما عدا نعيم الجنة وعذاب النار فلهما أول، وليس لهما آخر فكل منهما باق لكن شرعاً لا عقلًا وهو مما علم من الدين بالضرورة.

٤- **المخالفة للحوادث**: لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. فليس لأحد ذات مثل ذاته، ولا صفة مثل صفته، ولا فعل مثل فعله.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

والمخالفة للحوادث تنفي الجُرمية، ولازمها: التحيز، والعَرَضِيَّة ولازمها: القيام بالغير، والكُلِّيَّة ولازمها: الكِبَرُ، والجزئية ولازمها: الصغر. إلى غير ذلك من صفات المخلوقات كالجهة والحركة والسكون فهو سبحانه ليس بجسم وكل جسم مؤلف من جواهر وكل جوهر متميز لا يخلو أن يكون ساكناً أو متحركاً وهو سبحانه ليس بعرض لأن العرض محتاج لجسم يقوم به وإذا جاء نص صفة من هذه الصفات أو غيرها فنقول صفة الخالق غير صفة المخلوق واللَّه أعلم ويستحيل على اللَّه الشبيه والمثيل والمماثل.

٥- **القيام بالنفس**: لا يحتاج إلى محل ولا مخصص أي لا يفتقر إلى ذات يقوم بها ولا موجد يوجد به إذ إنه القديم الأول والغني المطلق الذي لا يفتقر إلى غيره أزلًا وأبداً ويفتقر إليه كل ما سواه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

٦- **الوحدانية**: لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

الدليل على الوحدانية: وحدة نظام الكون.

والتوحيد: توحيد الربوبية: وهو متفق عليه (لا خلاف في معناه) لا خالق إلا اللّه.

ويلزم منه توحيد الألوهية فلا يستحق العبادة إلا اللّه. ومن اعتقد أنه لا يستحق العبادة غيره كان ذلك بناء على أنه لارب غيره، ومن أشرك مع اللّه غيره في العبادة كان لا محالة قائلًا بربوبية ذلك الغير.

وتوحيد الأسماء والصفات هو من الوحدانية. وتوحيد الخلق كذلك، فلا خالق إلا اللّه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ﴾ [الحج: ٧٣].

فاللّه واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله ويستحيل ضد ذلك.

٧- **الحياة**: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تقتضي صحة الاتصاف بالعلم وغيره من الصفات الواجبة، وحياته ليست بروح، وحيث له صفة الحياة فهو حي.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

٨- **العلم**: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق انكشاف على وجه الإحاطة على ما هي بها[(١)] من غير سبق خفاء.

وحيث له صفة العلم فهو عالم. يعلم ما كان وما يكون وما سيكون ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عِمرَان: ٥] ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

٩- **القدرة**: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه وفق الإرادة.

وهذا التعريف وسائر التعاريف للصفات لا يتناول الحقيقة؛ لأنه لا يعلم كنه ذاته ولا كنه صفاته إلا هو سبحانه.

ولا تتعلق القدرة بالواجبات ولا بالمستحيلات؛ لأنهما خارجان عن وظيفتها لا لعجز فيه أي اللّه وحيث له صفة القدرة فهو قادر ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾ [المَائدة: ١٢٠].

والقدرة تبرز ما خصصه اللّه بإرادته أزلًا ﴿يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النُّور: ٤٥].

١٠- **الإرادة**: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه على وفق العلم «الوجود أو العدم، كونه في زمن

---

(١) على ما هي بها: أي على حقيقتها.

مضى، كونه أسود أو أبيض، كونه طويلًا أو قصيراً، في المشرق أو المغرب»، ولا تتعلق بالواجب والمستحيل.

والمشيئة مرادفة للإرادة، والممكن يشمل الخير والشر والنفع والضر خلافاً للمعتزلة في قصرها على الخير والنفع.

واختلف العلماء في جواز نسبة خلق الشرور والقبائح إليه تعالى: والراجح جواز ذلك في مقام التعليم كأدب الخضر عليه السلام)[١].

كذلك اختلف العلماء في جواز نسبة خلق الأمور الخسيسة إليه تعالى والأصح جواز ذلك في مقام التعليم فقط فلا يقال اللّه خلق القردة والخنازير إلا في مقام التعليم فقط.

فالعلم تعلقه تعلق انكشاف والإرادة مخصصة على وفق العلم والقدرة تبرز ما خصصته الإرادة وحيث له صفة الإرادة فهو مريد سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النّحل: ٤٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحجّ: ١٤] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

الإرادة غير الأمر فليست عينه ولا مستلزمة له.

فقد يريد ويأمر «كإيمان من علم اللّه منه الإيمان فإنه سبحانه أراده وأمر به».

وقد لا يريد ولا يأمر «كالكفر من هؤلاء (أي ممن علم منهم

---

(١) فقد نسب خرق السفينة لنفسه فقال فأردت أن أعيبها لأنه شر، وقال في قتل الولد فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً لأنه اشتمل على خير بالنسبة للوالدين وشر بالنسبة للولد.
وقال في بناء الجدار فأراد ربك لأنه خير.

الإيمان) فإن اللّه لم يرد الكفر من هؤلاء ولم يأمرهم به».

وقد يريد ولا يأمر «كالكفر الواقع ممن علم اللّه منهم الكفر فإنه أراده منهم ولم يأمرهم به».

وقد يأمر ولا يريد «كإيمان من علم اللّه منهم الكفر، فإنما أمرهم بالإيمان مع كونه لم يرده منهم سبحانه ليُظهر في عالم الحكمة ما علمه اللّه تعالى أزلًا فيعاقبون عليه».

الإرادة غير العلم: فالعلم يتعلق بالواجب والمستحيل والممكن والإرادة تتعلق بالممكن فقط.

والإرادة غير الرضا: فالرضا قبول الشيء والإثابة عليه والإرادة قد تتعلق بما لا يرضي اللّه ككفر أبي لهب. وقد قال المحققون من أهل السنة: الإرادة في كتاب اللّه تعالى نوعان:

إرادة قدرية كونية خلقية وهي المشيئة الشاملة لجميع الكائنات.

وإرادة دينية أمرية شرعية وهي المتضمنة للمحبة والرضا.

١١- **الكلام**: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى لا تشبه كلام الناس قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النِّساء: ١٦٤] كلام الناس من فم ولسان وأسنان وكلامه سبحانه بدون جارحة.

وقالت المعتزلة: كلامه هو الحروف والأصوات الحادثة وهي غير قائمة بذاته تعالى ومعنى كونه متكلماً عندهم أنه خالق للكلام في بعض الأجسام.

وحيث له صفة الكلام فهو متكلم.

١٢- **السمع**: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى لا تشبه سمع المخلوقات.

سمع البشر بأذنين ويشترط فيه قرب معين ولا يسمع البعيد، بينما سمعه سبحانه من غير جارحة ولا آلة للسمع ولا شرط من قربٍ وبعدٍ وجهةٍ.

١٣- **البصر**: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى لا تشبه بصر المخلوقات.

بصر البشر بآلة ويشترط فيه قرب معين وبعد معين وجهة وعدم وجود حائل، وبصره سبحانه من غير آله ودون انعكاس موجات ضوئية من الشيء المرئي ولا شرط من قرب وبعد وجهة وعدم وجود حائل.

وحيث وجبت له صفة السمع فهو سميع وصفة البصر فهو بصير.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١] وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

ويستحيل على اللّه أضداد هذه الصفات.

فيستحيل على اللّه تعالى: الموت والجهل والعجز والكراهية والخرس والعمى والصمم.

ويستحيل كونه ميتاً أو جاهلًا أو عاجزاً أو مكرهاً أو أبكم أو أعمى أو أصم تعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً.

تنبيه هام:

لا يعني الاقتصار على شرح ما ذكر من الصفات نفي غيرها، فأهل السنة والجماعة يثبتون للَّه جميع الصفات التي وصف بها نفسه في قرآنه ووصفه بها نبيه ﷺ على الوجه الذي يليق به من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

وينزهون اللَّه عن كل ما لا يليق به.

وسيأتي في مبحث المحكم والمتشابة التالي مزيد تفصيل في صفات اللَّه تعالى.

***

المحكم والمتشابه

القرآن: محكم ومتشابه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

فالمحكم: ما عرف المراد منه، والمتشابه: ما استأثر اللّه بعلمه.

أمثله المتشابه:

١- فواتح السور /١٤/ حرفاً.

٢- كيفيات أسماء اللّه وصفاته.

٣- حقائق اليوم الآخر.

٤- حقائق الساعة.

بعض النصوص المتشابهة:

١- ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] .

الاستواء في اللغة له عدة معان:

الاعتدال: كقول بعض بني تميم: استوى ظالم العشيرة والمظلوم.

إتمام الشيء: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القَصَص: ١٤] .

القصد إلى الشيء: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البَقَرَة: ٢٩] .

الاستيلاء:

إذا ما غزا قوماً أباح حريمهم   وأضحى على ما ملكوه قد استوى

الاستقرار: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [هُود: ٤٤]. ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزّخرُف: ١٣].

علا وارتفع: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزّخرُف: ١٣].

٢- ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعَام: ١٨] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النّحل: ٥٠].

فوق يستعمل في المكان والزمان والجسم والعدد والمنزلة وذلك أضرب.

قال الغزالي: إذا سمع لفظ ﴿فَوۡقَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعَام: ١٨] فليعلم أن الفوق اسم مشترك لمعنيين.

أولاهما: نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل.

وثانيهما: الرتبة. الخليفة فوق السلطان.

والأول مستحيل.

٣- ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] فلفظ الوجه ظاهرُ معناه يفيد الجارحة والله منزه عن ذلك.

٤- ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البَقَرَة: ٢١٠] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفَجر: ٢٢].

٥- في الحديث: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ويقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني

فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟».

النزول من أعلى إلى أسفل، وقد يطلق على غير ذلك ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الزُّمَر: ٦].

وكما قال الشافعي: دخلت مصر. فلم يفهموا كلامي فنزلت ثم نزلت ثم نزلت.

فهذه النصوص تفيد الانتقال الملازم للجسمية يقال: جاء في الأعيان والمعاني ولما يكون مجيئة بذاته وأمره ولمن قصد مكاناً أو عملًا أو زماناً.

٦- «خلق اللَّه آدم على صورته» (متفق عليه) «إني رأيت ربي في أحسن صورة» (رواه أحمد في مسنده، والدارقطني وصححه السيوطي. الجامع الصغير للسيوطي).

موقف السلف:

يثبتونها كما وردت ويمرونها كما جاءت وينزهون اللَّه عما لا يليق به ويقولون: صفة اللَّه ليست كصفة البشر ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١].

فهم يقولون:

١- استوى كما ذَكَرَ أو استواء يليق بذاته، أو يقال الاستواء على العرش صفته بلا كيف.

٢- فوقية تليق بذاته - يد تليق بذاته - وجه يليق بذاته، أو يعبر عن ذلك: يد اللَّه صفة اللَّه بلا كيف.

٣- مجيء يليق بذاته - إتيان يليق بذاته - نزول يليق بذاته، أو يعبر عن ذلك: نزول اللّه، صفته بلا كيف.

٤- يمين يليق بذاته - عندية تليق بذاته - أو يعبر عن ذلك: يمين اللّه، صفته بلا كيف أو يقولون في الجميع: بدون تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل.

وأدلة السلف:

روى سليمان بن يسار أن رجلًا يقال له: صُبَيْغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر رضي الله عنه وقد أعد له عراجين النخل فقال له: من أنت؟ فقال: أنا عبد اللّه بن صبيغ. فأخذ عمر عرجوناً فضربه حتى دمي رأسه فتركه حتى برأ ثم عاد ثم تركه حتى برأ ثم عاد إلخ. فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلًا جميلًا، فأذن له في أرضه وكتب إلى أبي موسى أن لا يجالسه أحد من المسلمين.

قالت أم سلمة رضي الله عنها لما سئلت عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به من الإيمان والجحود به كفر.

وجاء عن الإمام مالك حين سئل عن الاستواء قوله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة ثم قال للسائل: وأظنك رجل سوء أخرجوه عني.

وسئل الأوزاعي عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال: كما قال وإني لأراك ضالًا، وقد عقّب ابن الصلاح على هذا بقوله: على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها. وإياها

اختار الأئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها.

وقد سئل الإمام أحمد عن الاستواء فقال: استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر. ولما سئل الشافعي قال: آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي عن الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك.

وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: نثبت الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة وننفي التشبيه عن اللّه كما نفاه عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١].

ونقل الترمذي عند حديث «إن اللّه يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه» قول مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وعبد اللّه بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: «أمروها بلا كيف» وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

ونقل الشهرستاني أن مالكاً والشافعي وأحمد لم يتعرضوا للتأويل واحترزوا من التشبيه أيما احتراز حتى قالوا: من حرك يده عند قراءة قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] أو أشار بأصبعه عند رواية «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (رواه مسلم) وجب قطع يده وقطع أصبعه.

وقال الإمام البيضاوي في تفسيره وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة للّه تعالى بلا كيف.

وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] قال: فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهة منفي عن اللّه تعالى فإن اللّه تعالى لا يشبهه شيء من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١].

موقف الخلف:

يثبتونها كما وردت وينزهون اللّه عما لا يليق به ويقولون: صفة اللّه غير صفة البشر.

والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهة منفي عن اللّه تعالى فإن اللّه تعالى لا يشبهه شيء من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١].

بعد ذلك يأخذون معنى من المعاني اللغوية يليق بجلال اللّه سبحانه بعيداً عن التشبيه والتمثيل والتكييف والتعطيل فيقولون مثلًا:

استوى: بمعنى استولى أو علا (طبعاً علوا يليق بذاته) وأما ارتفع واستقر فيرفضونه.

والمراد بالوجه: الذات. قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرّحمٰن: ٢٧]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾

[الرَّحمٰن: ٧٨] فصفة ذي الجلال والإكرام صفة للوجه في الآية الأولى وصفة للرب في الآية الثانية فهذا دليل على أن المراد بالوجه الذات.

والمراد باليد: القدرة وباليمين وبالعندية: الإحاطة والتمكين. وبالعين: الرعاية والتربية، وبالمعية: التأييد والنصرة. ومعكم: أي بعلمه.

والمراد بالصورة: الصفة من سمع وبصر وعلم وحياة فهو على صفة اللّٰه في الجملة وإن كانت صفات اللّٰه قديمة وصفات الإنسان حادثة. ورأيي أن الضمير في الحديث «إن اللّٰه خلق آدم على صورته» يعود لآدم وهو أقرب مذكور ويكون الرد فيه على الدارونية، وقد رأيت هذا الرأي لبعض المحققين.

والمراد بفوق: المنزلة والرتبة.

والمراد بجاء ربك: المعنى جاء أمر ربك على حذف مضاف كما صرح به في آية أخرى.

والمراد بينزل ربنا: أي ينزل الملك بأمر ربنا كما صرح به في حديث آخر.

اعتماد رأي السلف:

وهكذا، إلا أن من علماء الخلف من بقي متمسكاً برأي السلف وقام الخلاف بين الرأيين. ورأي الخلف بعد السلف بهذه الأمور للرد على الفلاسفة والمشبهة والمجسمة.

والآن بعد أن انتهى أمر الفلاسفة والمشبهة والمجسمة، ينبغي أن

تجتمع كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على رأي السلف وينتهي الخلاف الذي حوله البعض إلى معان أخرى وصعّده.

وفي رأيي أن علماء المسلمين يوافقون على ذلك وذلك لأن الخلف لا مانع عندهم ألبتة من الأخذ برأي السلف بل يفضلون ذلك ويرجحونه؛ لأنهم في الأصل من أتباعه وليسوا ضده بوجه من الوجوه ولا في حال من الأحوال. بل رأي السلف عند الخلف أرجح من رأي الخلف.

والتعبير الذي أخذ عليهم: رأي السلف أسلم ورأي الخلف أحكم وزيد عليه وأعلم، يشير إلى تفضيلهم رأي السلف، والجميع يفضلون رأي السلف وأقصد بالجميع من تمسك برأي السلف من الخلف أو أخذ برأي الخلف.

والجميع يقولون: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل أئمة السلف في العقيدة والفقه والخلف لا يخرجون عن آرائهم ومذاهبهم في العقيدة والفقه ولو أنهم رأوا آراء ثانية للرد على الانحراف. والله أعلم.

فواتح السور:

روي عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما في الحروف التي في أوائل السور: هي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ويجب أن لا يتكلم فيها ولكن نؤمن بها وتمر كما جاءت، وروي هذا عن عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المُحَدِّثين. ونقل عن عمر وعثمان وابن مسعود رضي الله عنهم أنهم قالوا: «الحروف المقطعة من المكتوم الذي لم يفسر».

* * *

الإيمان بالملائكة

الملائكة أجسام نورانية لا يعلم عددهم إلا اللَّه، لا يأكلون ولا يشربون ولا يقال عنهم إناث ولا ذكور وهم عباد مكرمون، لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

نورانية: خلقت من نور كما جاء في الحديث الصحيح.

من اعتقد بأنهم ذكور فاسق ومن اعتقد بأنهم إناث كافر لمخالفته النصوص من القرآن الكريم.

متصفون بالعصمة فهم معصومون، وقصة هاروت وماروت، وقصة الزُّهَرَة بأنهم ملائكة وما أشبهها ليس لها مستند من كتاب أو سنة أو يقول علماء ثقات: إنها مختلقة مكذوبة.

رؤساؤهم جبريل (أمين الوحي) وميكائيل (الموكل بالأمطار) وإسرافيل (الموكل بنفخ الصور) وعزرائيل (ملك الموت).

ولم أطلع على تسمية ملك الموت بعزرائيل في الحديث ولكنه مذكور على ألسنة علمائنا في التفسير وشروح الحديث وكتب الفقه وفي كل المؤلفات.

ورقيب عتيد (كاتبا الحسنات والسيئات).

ومنكر ونكير (فتانا القبر).

ورضوان (خازن الجنة).

ومالك (خازن النار).

والملائكة الكَرَوبِيُّون (حملة العرش).

والحفظة (وقد جاء على أنهم ثمانية بالليل وثمانية بالنهار وقال بعضهم: إنهم كتاب الحسنات والسيئات ورجح البعض أن لا يجزم بالعدد).

والملائكة السياحون (الذين يحضرون مجالس الذكر).

وملائكة الرحمة (الذين يدخلون بيوت المؤمنين ولا يدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة أو جرس).

وغيرهم فهناك ملائكة يسبحون لا يفترون وملائكة ساجدون لا يرفعون رؤوسهم أبداً.

* * *

الجن والشياطين

من العوالم الغيبية: الجن والشياطين وقد ثبت وجودهم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ومنكرهم كافر.

يروننا ولا نراهم.

منهم المسلمون ومنهم الكافرون، والمسلمون منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، مكلفون كالإنس.

منهم الشياطين، ومنهم العفاريت، ومنهم المردة.

قال ابن عبد البر: الجن مراتب: جني عامر (يسكن مع الناس)، أرواح (يعرض للصبيان)، شيطان (متمرد)، مارد (زاد في الإيذاء) عفريت (زاد على ما تقدم).

الشيطان: المارد الفاسق الفاجر من الجن والإنس.

الجن والشياطين: جنس واحد (رأي الجمهور).

روى مسلم «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

الجن أجسام نارية تتشكل بالأشكال الحسنة والقبيحة وهم عقلاءُ يأكلون ويشربون وينامون ويتزوجون ويتناسلون ومنهم المطيع ومنهم العاصي المؤمن ومنهم العاصي الكافر، ويطلق الشيطان على العاصي المتمرد المؤذي.

الجن: يحضرون أمكنة الإنس ويحضرون الأكل والشرب

والجماع إلا أن يحجزهم اللّه.

والشياطين مسلطون على الإنس بالوسوسة والإغواء والإضلال.

وأحياناً يلبسون جسم الإنسان ويعيشون فيه بكيفية لا يعلمها إلا اللّه فيصاب الإنسان عن طريقهم بالصرع أو الجنون أو التشنج وغير ذلك.

تنبيه: إن الشياطين نوعان: شياطين من الإنسن، وشياطين من الجن، وشياطين الإنس أشد خطراً، لأن شيطان الجن عمله الوسوسة بينما شيطان الإنس عمله بالمواجهة.

وقد يكون أبا أو ابناً أو أخاً أو قريباً أو صديقاً أو زوجاً، وقد يكون أماً أو بنتاً أو أختاً أو قريبة أو زوجة، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس].

وقد ثبت بأن الذي يقرأ آية الكرسي عندما يبيت في فراشه لا يقربه شيطان حتى يصبح.

ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ صباحاً ومساء كفي من كل سوء.

ويسن عند الدخول إلى الخلاء أن يقدم رجله اليسرى ويقول: «بسم اللّه اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث» (بسم اللّه ستر لعورته من الجن).

والخبث: ذكور الشياطين والخبائث: إناث الشياطين.

ويسن عند الخروج أن يقدم رجله اليمنى ويقول: «غفرانك، الحمد للّه الذي أذهب عني الأذى وعافاني».

اللوح والقلم والكرسي والعرش

يجب أن نعتقد باللوح والقلم والكرسي والعرش. وهذا من الإيمان بالغيب.

١- **القلم**: هو جسم عظيم نوراني خلقه اللّٰه وأمره أن يكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، والأولى أن نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته.

٢- **اللوح**: جسم نوراني كتب فيه القلم، بإذن اللّٰه تعالى ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وهو يكتب فيه الآن على التحقيق من أنه يقبل المحو والتغيير ونمسك أيضاً عن الجزم بحقيقته.

٣- **الكرسي**: جسم عظيم نوراني تحت العرش ملتصق به فوق السماء السابعة بينه وبينها خمسمائة عام كما نقل عن ابن عباس والأولى أن نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته لعدم العلم بها وهو غير العرش خلافاً للحسن البصري قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] .

٤- **العرش**: جسم عظيم نوراني علوي، والأولى الإمساك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها، فهو مما يجب الإيمان بوجوده لوروده بالدليل السمعي: قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحَاقَّة: ١٧] .

* * *

الإيمان بالكتب السماوية

الكتب السماوية أربعةٌ ومائةٌ: التوراة والزبور والإنجيل والقرآن وستون صحيفة نزلت على شيث (ابن آدم) وثلاثون على إبراهيم وعشر على موسى قبل التوراة.

التوراة: أنزلت على موسى عليه الصلاة والسلام.

الزبور: أنزل على داود عليه الصلاة والسلام.

الإنجيل: أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام.

وكلها دخلها التحريف ما عدا القرآن. وذلك أن اللّه سبحانه وتعالى أوكل حفظها إلى أممها فضيعوها. وأما القرآن فقد تعهد بحفظه قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩] وأمرنا بحفظه وقد قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (رواه البخاري) فحفظه الصحابة قبل وفاة النبي ﷺ ثم التابعون أضعاف الصحابة، ثم تابع التابعين، أضعاف التابعين، ومن بعدهم حتى أصبحت ملايين كثيرة تحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وفي كل بلد من بلدان العالم الإسلامي أعداد كبيرة تحفظ القرآن الكريم.

حاول الكثيرون من أعداء الإسلام تحريف القرآن بزيادة أو نقص فباءت محاولاتهم بالفشل والحمد للّه.

يجب أن نعتقد بأن العمل بالكتب السابقة منسوخ فالقرآن ناسخ لما قبله ويجب أن نعتقد أن هذا القرآن هو مطابق لما في مصحف عثمان ومنقول إلينا بالتواتر الروايات السبعة بل العشرة على التحقيق.

وأن ما في مصحف عثمان ﵁ مجمع عليه من قبل الصحابة، لم يختلف عليه أحد، وأولهم علي بن أبي طالب وأن ما في مصحف عثمان منسوخ عن صحف أبي بكر ﵁ وهي أيضاً مجمع عليها ولم يجمع فيها إلا الصحف التي نسخت بين يدي رسول اللَّه ﷺ وشهد شاهدان على ذلك.

وأن ما في الصحف مطابق لما في صدور الصحابة وآل البيت وموافق لما في صدر النبي ﷺ وفق العرضة الأخيرة على جبريل عليه الصلاة والسلام.

وما في صدر النبي ﷺ موافق لما نقله جبريل عن رب العزة سبحانه وتعالى.

والقرآن بمعنى كلام اللَّه غير مخلوق.

وقد امتنعت الأئمة عن القول بخلق القرآن وقد وقع امتحان في ذلك لخلق كثير من أهل السنة.

فقد خرج البخاري ﵁ فاراً وقال: اللهم اقبضني إليك غير مفتون فمات بعد أربعة أيام.

وقد سجن عيسى بن دينار عشرين سنة.

وسئل الشعبي فقال: أما التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فهذه الأربعة وأشار إلى أصابعه - حادثة فكانت سبب نجاته.

وحبس الإمام أحمد وضرب بالسياط حتى غُشِي عليه.

ويذكر أن النبي ﷺ قال للإمام الشافعي في الرؤيا: بشر أحمد بالجنة على بلوى تصيبه في خلق القرآن فأرسل الشافعي لأحمد كتاباً

ببغداد يخبره فيه برؤياه، فلما قرأه الإمام أحمد بكى، ودفع للرسول قميصه الذي يلي جسده، وكان عليه قميصان فلما دفع للشافعي غسله وادهن بمائه.

والقرآن: كلام اللَّه المنزل على محمد رسول اللَّه ﷺ لفظه ومعناه المتعبد بتلاوته المُتَحَدَّى بأقصر سورة منه أوله سورة الفاتحة وآخره سورة الناس المنقول لنا بالتواتر.

نزل على الرسول ﷺ أقساطاً في مدة ثلاثة وعشرين سنة تقريباً.

أول ما نَزَل على الإطلاق آيات سورة العلق: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾.

وأول ما نزل بعد فترة الوحي آيات المدثر ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾.

وآخر ما نزل من آيات الأحكام ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وآخر آية نزلت على الإطلاق ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وآخر سورة نزلت على الإطلاق (سورة النصر).

والقرآن مكي ومدني.

فالمكي: ما نزل قبل الهجرة ولو بالطائف.

والمدني: ما نزل بعد الهجرة ولو بمكة ومنى والحديبية.

وقت نزول القرآن: نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما ثم ابتدأ نزوله إلى الأرض في ليلة القدر أيضاً.

* * *

الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

النبي: إنسان حر ذكر سليم من كل منفرٍ طبعاً أوحي إليه بشرع يعمل به وإن لم يؤمر بتبليغه فإن أمر بتبليغه كان رسولًا فكل رسول نبي، ولا عكس.

عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً أولهم آدم وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام.

نقل أبو منصور التميمي البغدادي المتوفى في سنة ٤٢٩ هجرية الإجماع على أن أول من أرسل إلى الناس آدم عليه الصلاة والسلام ونقل الإجماع على نبوة آدم أيضاً وعبارته «أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل إلى الناس آدم عليه السلام» وقال في موضع آخر: «أجمع أصحاب التواريخ من المسلمين على أن عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مائة وأربعة وعشرون ألفاً كما وردت الأخبار الصحيحة أولهم أبونا آدم عليه الصلاة والسلام وآخرهم نبينا محمد ﷺ».

والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر.

من أنكر نبياً أو رسولًا مجمعاً على نبوته أو رسالته يكفر.

وأما إنكار نبوة من لم يجمع على نبوته كالخضر ومريم وحواء فليس بكفر، وفي الفتاوى الهندية: «وعن جعفر فيمن يقول آمنت بجميع أنبيائه ولا أعلم أن آدم نبي أم لا، يكفر كذا في العتابية».

والرأي السائد أن لا نجزم بالعدد لقوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

الذي يجب في حقهم إجمالًا: الاتصاف بكل كمال والتنزيه عن كل نقصان.

والذي يجب في حقهم تفصيلا:

الأمانة، والصدق، والفطانة، والتبليغ.

الأمانة: هي العصمة وهي كون ظواهرهم وبواطنهم محفوظةً عن التلبس بمنهي عنه ولو نَهي كراهة أو خلاف الأولى فأفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب وهي ثابتة لهم قبل النبوة وبعدها قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧] فلا يقع منهم المكروه على أنه مكروه لذاته بل لبيان الجواز.

والصدق: مطابقة أخبارهم للواقع.

والفطانة: الذكاء وإيتاء الحجة.

والتبليغ: بلغوا جميع ما أمرهم اللّه بتبليغه.

ويستحيل عليهم أضداد الصفات السابقة: الخيانة، والكتمان، والكذب، والبلادة.

ويستحيل عليهم كل منفر طبعاً وكل ما يعده الناس من العيوب (مثل الجنون والجذام والبرص والعمى).

ويجوز في حقهم كل مالا يؤدي إلى نقص في مراتبهم العَلية كالأكل والشرب وإتيان النساء الحلال والنوم بأعينهم لا بقلوبهم والأمراض غير المنفرة وأما السهو فممتنع في الأخبار البلاغية وكذلك النسيان فهو ممتنع أيضاً في البلاغيات قبل تبليغها، قولية أو فعلية، وأما بعد تبليغها فيجوز نسيان ما ذكر إذا كان من اللّه.

وأما نسيان الشيطان فمستحيل عليهم إذ ليس له عليهم سبيل وقول يُوشَع عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣] فمحمول على التواضع عند البعض وهو غير واضح. بل نسبه إلى الشيطان أدباً مع اللَّه.

وكذلك قول أيوب عليه الصلاة والسلام: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] فنسبه إلى الشيطان لكونه السبب كما في تفسير الجلالين.

النبوة: غير مكتسبة بل هي اصطفاء من اللَّه وفضل منه.

والولاية: مكتسبة وهي الولاية العامة وهي امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ومنها غير مكتسب وهي العطايا الربانية كالعلم اللدني والكرامات وغيرها.

المعجزة: أمر خارق للعادة يظهره اللَّه على يد النبي مقروناً بدعوى النبوة أو الرسالة، موافقاً لدعواه، على وجه يُعجز المنكرين عن الإتيان بمثله. تصديقاً للنبي في دعوى النبوة أو الرسالة وفيما بلَّغه عن اللَّه سبحانه لأنها نازلة منزلة قوله تعالى: صدق عبدي في كل ما يبلغ عني.

واعتبر المحققون في المعجزة سبعة قيود:

الأول: أن تكون قولًا كالقرآن أو فعلا كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ أو تركاً كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

الثاني: أن تكون خارقة للعادة، والعادة ما درج عليه الناس واستمروا عليه مرة بعد أخرى.

والثالث: أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة فتخرج الكرامة والمعونة والاستدراج والإهانة .

فالكرامة ما يظهره اللّه على يد عبد ظاهر الصلاح.

والمعونة ما يظهره اللّه على يد عوام المسلمين تخليصاً لهم من شدة.

وأما الاستدراج فهو ما يظهر على يد فاسق .

وأما الإهانة فهي ما يظهر على يد مدعي النبوة تكذيباً كما حصل لمسيلمة الكذاب، فإنه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة، وتفل في بئر لتعذب مياهه فغارت.

الرابع: أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة أو حكماً بأن تأخرت بزمن يسير، ويخرج الإرهاص وهو ما كان قبل النبوة والرسالة تأسيساً لها كإظلال الغمام له ﷺ قبل البعثة، أو كظهور النور في جبين أبيه عبد اللّه.

الخامس: أن تكون موافقة للدعوى فخرج المخالف لها كما إذا قال: آية صدقي انفلاق البحر، فانفلق الجبل.

السادس: أن لا تكون مكذبة له فخرجت المكذبة كما إذا قال: آية صدقي نطق هذا الجماد، فنطق بأنه مفتر كذاب.

السابع: أن تتعذر معارضته فخرج السحر والشعوذة وهي خفة في اليد.

وزاد بعضهم **ثامناً**: أن لا تكون في زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها وخرج بهذا أيضاً ما يقع من الدجال كأمره للسماء أن

تمطر فتمطر وللأرض أن تنبت فتنبت.

ومعجزات النبي ﷺ كثيرة غُرَرٌ: منها نبع الماء من بين أصابعه وانشقاق القمر، وسلام الحجر والشجر، وتسبيح الحصا في كفه، وتسبيح الطعام، وحنين الجذع، ورد عين قتادة، ومنها وأعظمها القرآن الكريم.

والمذكور في القرآن الكريم: خمسة وعشرون نبياً ورسولًا:

سيدنا آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسى، هارون، ذو الكفل، داود، سليمان، إلياس، اليسع، يونس، زكريا، يحيى، عيسى، محمد عليهم الصلاة والسلام.

أفضلهم محمد ﷺ ثم إبراهيم، ثم موسى ثم عيسى ثم نوح وهم أولو العزم ثم بقية المرسلين ثم الأنبياء ثم رؤساء الملائكة ثم رؤساء البشر كالخلفاء الأربعة ثم عوام الملائكة ثم عوام البشر.

الكرامة: أمر خارق للعادة يظهره اللّه على يد عبد صالح غير مدّع للرسالة وهي من الأمور الجائزة عقلًا والواقعة نقلًا.

جاء بها كتاب اللّه تعالى ونطقت بها الأحاديث الصحيحة.

أما القرآن الكريم ففيه:

١- قصة مريم.

٢- قصة أصحاب الكهف.

٣- قصة عرش بلقيس.

وفي السنة الصحيحة:

١- قصة الثلاثة الذين آواهم الغار.

٢- قصة جريج العابد.

والولي يدل على الكرامة، وليست الكرامة تدل على الولي: فالولي هو المؤمن التقي. وفي الصحيح: «رب أشعث أغبر ذي طمرين تَنْبُو عنه أعينُ الناس لو أقسم على اللّه لأبره» رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد وصححه السيوطي في الجامع الصغير.

قال الجنيد رحمه اللّه تعالى: «إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء، أو يمشي على الماء فلا تصدقوه حتى تنظروهُ عند الأمر والنهي» وقال الشافعي: «إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة».

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [المنافقون].

والحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته (أعلمته) بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه» رواه البخاري.

وهذا الحديث العظيم يضع طريقاً للوصول إلى محبة اللّه تعالى بما يأتي:

أولًا: الامتناع عن أذى المؤمنين المتقين (أولياء اللّه) ومعاداتهم:

فأذى أحباب اللّه ومعاداتُهم يجُرُّ إلى حرب اللّه وغضبه، فاللّه غيور على أوليائه، والعلماء ورثة الأنبياء ولحومهم مسمومة والكلام عليهم من المهلكات.

ثانياً: القيام بالفرائض: والفرائض أفعال وتروك:

فالأفعال كفرائض الصلاة والصيام والزكاة والحج... إلخ.

والتروك مثل ترك الشرك، ترك الزنا، ترك اللواط، ترك شرب الخمر، ترك الغيبة... إلخ.

ثالثاً: الإكثار من النوافل:

فإذا سلك العبد هذا الطريق وحقق الأمور الثلاثة أحبه اللّه فإذا أحبه سدده وسخره لطاعته وجعل جوارحه كلها في خدمة دينه وأعطاه سؤله وأجاب دعوته.

* * *

علامات الساعة

علامات الساعة الصغرى: وهي كثيرة أوصلها بعضهم إلى ثلاثمائة. منها:

١- بعثة نبينا ﷺ: في البخاري ومسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين: السبابة والوسطى».

٢- خروج النار: في الصحيحين «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى» (بلد على مقربة من دمشق) وقد وقعت كما حدث عنها ﷺ.

٣- في البخاري عن عوف بن مالك أنه قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك في قبة من أدم (من جلد) فقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة:

* موتي.

* ثم فتح بيت المقدس.

* ثم مَوَتَان يأخذ فيكم كقُعاصِ الغنم (دود صغير يظهر في رؤوس الغنم فيهلكها).

* ثم استفاضة المال - أي كثرته - حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً.

* ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته.

* ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر (الروم) فيغدرون،

فيأتونكم تحت ثمانين غاية (راية) تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً».

٤- قتال المسلمين اليهود: في مسلم «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد اللَّه هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود».

٥- غربة الإسلام: في مسلم: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء. قيل: من هم يا رسول اللَّه؟ قال: الذين يَصلُحون إذا فسد الناس» وفي رواية: «الذين يفرون بدينهم من الفتن».

وفي رواية: «الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي».

وفي رواية خامسة: «قوم قليل في ناس سوء كثيرون من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم».

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف - أي رمي بالحجارة - قلت: يا رسول اللَّه أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخَبَث» يعني المعاصي.

وفي رواية قال رجل من المسلمين: يا رسول اللَّه متى ذاك؟ قال: «إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور» والقينات: المغنيات، والمعازف: آلات اللهو والطرب.

علامات الساعة الكبرى:

أولًا: ظهور المهدي:

«لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول اللّه ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

أخرج ابن أبي شيبة والطبراني والدارقطني في الأفراد وأبو نعيم والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: صلى الله عليه وسلم: «لا تذهب الدنيا حتى يبعث اللّه تعالى رجلًا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي فيملأ الأرض عدلًا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وأخرج الحاكم وأحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام، وعصائب أهل العراق فيبايعونه. ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب، فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب. فيقسم المال، ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقي الإسلام بجِرَّانه في الأرض يلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون».

قال السيوطي: في الحديث «لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدباراً ولا الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم».

قال القرطبي في التذكرة: «وإسناده ضعيف، والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة

ثابتة أصح من هذا الحديث فالحكم بها دونه».

وقال أبو الحسن السحري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه سيملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلًا، وأنه يخرج مع عيسى عليه الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يَؤُمُّ هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه في طول من قصته وأمره.

وقال القرطبي: ويحتمل أن يكون معناه: لا مهدي كاملًا معصوماً إلا عيسى ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهدياً أيضاً وأيده ابن كثير، وبهذا يندفع التعارض.

وأخرج مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة: قال: فينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فيقول أميرهم: تعالى صل بنا فيقول: لا إن بعضهم على بعض أمراء تَكْرُمَةَ اللَّه لهذه الأمة».

وفي مسند الحارث بن أبي أسامة عن جابر مرفوعاً: «فيقول أميرهم المهدي».

ثانياً: ظهور الدجال:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت: الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: واللَّه لا نخلي

بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيهزم ثلث لا يتوب اللّه عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند اللّه تعالى ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً. فيفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، وقد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج. فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم فأمّهم، فإذا رآه عدو اللّه ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله اللّه بيده فيريهم دمه في حربته» اهـ.

وفي مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول اللّه ﷺ الدجال ذات غداة فخفَض فيه ورفَع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه، عرف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يار سول اللّه ذكرت الدجال الغداة، فخفضت ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال: غيرُ الدجال أَخْوَفُني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، واللّه خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قَطَطٌ (شديد جعودة الشعر) عينه طافية (أي ذهب نورها أو ناتئه بارزة، وفيها بصيص من نور) كأني أشبهه بعبد العزى بن قَطَن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالًا، يا عباد اللّه فاثبتوا، قلنا: يا رسول اللّه وما لَبْثُه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً. يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول اللّه، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا اقدُروا له قدره. قلنا: يا رسول اللّه وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح فيأتي إلى القوم يدعوهم، فيؤمنون به

ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطولَ ما كانت ذرى (الأسنمة) وأسبغَه ضروعاً (أطوله لكثرة اللبن) وأمده خواصر (لكثرة امتلائها) ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون مُمْحِلِين، ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة (الموضع الخراب) فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلئاً شباباً (في عنفوان شبابه) فيضربه بالسيف فيقطعه جَزلتين رمية الفرض قطعتين متساويتين، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك».

ثالثاً: نزول المسيح:

فبينما هو كذلك[١] إذ بعث اللّه تعالى المسيح ابن مريم ﷺ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (المهرودة: الثوب المصبوغ) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر (أي الماء منه) وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي إلى حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد (بلدة قريبة من بيت المقدس) فيقتله.

ثم يأتي عيسى ابن مريم ﷺ قوماً قد عصمهم اللّه منه فيمسح عن وجوههم، ويحدِّث بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى اللّه تعالى إلى عيسى ﷺ أني قد أخرجت عباداً لي لا يَدانِ (أي لا طاقة) لأحد بقتالهم فأحرِز عبادي إلى الطور.

---

(١) تتمة الحديث السابق: حديث النواس بن سمعان.

رابعاً: خروج يأجوج ومأجوج:

ويبعث اللّه[1] يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. ويحصر نبي اللّه عيسى عليه الصلاة والسلام وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب نبي اللّه عيسى ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إلى اللّه تعالى فيرسل عليهم النَّغفَ (دود) في رقابهم، فيصبحون فرسى (جمع فريس: قتيل) كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي اللّه عيسى ﷺ وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زَهَمُهم ونَتنُهم، فيرغب نبي اللّه عيسى ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إلى اللّه تعالى، فيرسل اللّه عليهم طيراً كأعناق البُخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللّه، ثم يرسل اللّه عز وجل مطراً لا يَكِنُّ منه بيتُ مَدَرٍ (الطين الصلب) ولا وبرٍ (خباء) فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَقَة (وروي الزلفة وهي المرآة) ثم يقال للأرض أنبتي ثمرك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقَحْفِها، ويُبَارَك في الرِّسْلِ (اللبن) حتى إن اللَّقحة من الإبل (أي اللبون) لتكفي الفِئام (الجماعة) من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، (الفخذ: دون القبيلة). فبينما هم كذلك إذ بعث اللّه تعالى ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمُر فعليهم تقوم الساعة» رواه مسلم.

---

(١) تتمة الحديث السابق: حديث النواس بن سمعان.

وفي الحديث: «إن الدجال يخرج وإن معه ماء وناراً. فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب، فمن أدركه منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه عذب طيب» رواه البخاري ومسلم.

وفي الحديث: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نَقْبٌ من أنقابها (أي خرق) إلا عليه الملائكة صافين تحرسهما، فينزل بالسَّبْخَة (الأرض الرملة التي لا تنبت لملوحتها) فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج اللّه منها كل كافر ومنافق» رواه مسلم عن أنس ﷺ.

وفي الحديث: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه الصلاة والسلام حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية (أي يبطلها فلا يقبل إلا الإسلام) ويفيض المال، (أي يكثر) حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» ثم قال أبو هريرة ﷺ راوي الحديث: واقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: ١٥٩] رواه البخاري ومسلم.

وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض اللّه اللّه» رواه مسلم.

وفي الحديث: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق» رواه البخاري ومسلم.

مدة بقاء عيسى عليه الصلاة والسلام في الأرض:

رجح بعض العلماء أن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام رفع إلى السماء وهو ابن ثمانين سنة.

وقال أبو الشيخ في كتاب الفتن: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال، ويمكث في الأرض أربعين عاماً، يعمل فيهم بكتاب اللّه وسنتي ويموت، ويستخلفون بأمر عيسى رجلًا من تميم يقال له المقعد، فإذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال ومصاحفهم».

وأخرج مسلم في صحيحه عن عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «يخرج الدجال فيلبث في أمتي أربعين (يوماً)، ثم يبعث اللّه عيسى عليه الصلاة والسلام، فيطلبه حتى يهلكه ثم يبقى الناس بعده (أي بعد عيسى) سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يبعث اللّه ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، ثم يبقى شرار الناس فيجيئهم الشيطان فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها».

روى مسلم في صحيحه: «أن أول الآيات خروجاً: (أي الآيات غير المألوفة) طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا».

وجاء في روايات عديدة أن مدة مكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرون سنة.

وروى مسلم في صحيحه عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال: ما تذكرون؟ قال: الساعة، قال: لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان (يملأ الأرض، ويخرج من أنف الكافر وعينيه وأذنه وفمه ودبره ويصيب المؤمن منه كهيئة زكام ويمكث أربعين يوماً)، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

وفي رواية عن حذيفة ﷺ: «ونار تخرج من قَعْرَةِ عدن ترحل الناس» وروي في مسلم: «تنزل معهم إذا نزلوا، وتقيل معهم إذا قالوا».

ويستفاد من الأحاديث ترتيب بعض علامات الساعة:

فأولها: خروج المهدي ويبقى سبع سنين.

وثانيها: خروج الدجال: ويمكث في الأرض أربعين يوماً ففي الحديث: «قلنا: يا رسول اللّه وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول اللّه فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا اقدروا له قدره» الحديث.

وثالثها: نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام على المنارة البيضاء شرقي دمشق فينزل على أجنحة ملكين وقت صلاة الصبح ويصلي خلف المهدي. ويكون الدجال محاصراً أهل بيت المقدس وبابه مغلق فيقول: افتحوا الباب فيفتحونه فيراه الدجال فيولي هارباً هو

ومن معه فيخرج عيسى والمهدي في طلبه فيقتله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بباب لد قرب الرملة ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ، ويكثر الأمن والرخاء والخصب البركة ويمكثون على هذه الحال أربعين سنة ويتزوج عيسى عليه الصلاة والسلام ويولد له ولدان، ويموت المهدي ويصلي عليه عيسى عليه الصلاة والسلام ويدفنه ببيت المقدس.

ثم يموت عيسى بالمدينة ويدفن بجوار أبي بكر الصديق رضي الله عنه والله أعلم.

ورابعها: خروج يأجوج ومأجوج:

وهم من ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام، وقد عد في الحديث الصحيح: الخسوفات الثلاثة ولم أطلع على ترتيب لها، وكذلك الدخان وذكر في صحيح مسلم: «ريح طيبة تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة» ويبدو أنها متأخرة بعد وفاة عيسى بسبع سنين.

وخامسها: طلوع الشمس من مغربها:

وهي بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام ولا أدري التحديد، روي أنها حين تغرب تمسك عن ظهورها ليلة طويلة قدر ثلاث ليال، ويفزع الناس من طول تلك الليلة، وقد روى الشيخان عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين غربت الشمس: «أتدرون أين تذهب هذه؟ قلت: لا، الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقول لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فعند ذلك يغلق باب التوبة» اهـ.

وسادسها: خروج الدابة:

تُكلِّم الناس، ورجح الحافظ ابن حجر أنها بعد طلوع الشمس من مغربها تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة.

وسابعها: وآخر ذلك نار تخرج من اليمن:

تطرد الناس إلى محشرهم تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وبعد ذلك موت المسلمين بريح تخرج من اليمن.

هذه نقلت كما وردت. ويبدو من الأحاديث أن خروج النار من اليمن أو من الشام تسوق الناس إلى المحشر هي آخر العلامات.

وقد عد صاحب تنوير القلوب من علامات الساعة الكبرى:

١- رفع القرآن والعلوم النافعة من السطور والصدور ورجوع أهل الأرض كفاراً. وفي مجمع الزوائد (ص٧) عن عبد اللّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة، ولَيُصَلِّيَنَّ قوم لادين لهم، ولَيُنْزَعَنَّ القرآن من بين أظهركم قال: يا أبا عبد الرحمن: ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا؟ قال: يسري على القرآن ليلًا ويذهب من أجواف الرجال، فلا يبقى في الأرض منه شيء». رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل.

٢- انهدام الكعبة على أيدي الحبشة. اهـ. تنوير القلوب.

النفخ في الصور:

روى مسلم في صحيحه: وذكر رسول اللّه ﷺ الدجال ثم الساعة فقال: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لَيْتاً ورفع لَيْتاً

(اضطرب ومات فاسترخى رأسه والليت: صفحة العنق) وأول ما يسمعه رجل يلوط حوض إبله (أي يطينه) فيصعق ويصعق الناس. ثم ينزل اللّه مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون، ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، قال: فذلك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق» حديث مسلم.

وروى البخاري ومسلم: «لَتَقُومَنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لَقْحتِه (أي ناقته القريبة النتاج) فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أُكلَته (أي لقمته) إلى فيه فلا يطعمها.

قال في تنوير القلوب: ومما يجب الإيمان به النفخ في الصور قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: ٦٨] فصعق: أي خَرَّ ميتاً من كان من الأحياء وقتئذ أو مغشياً عليه من كان قد مات.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النَّمل: ٨٧] وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فإنهم لا يموتون عند النفخة كغيرهم بل يموتون بعدها ويَحْيَوْن قبل النفخة الثانية.

وحملة العرش، وخزنة الجنة والنار، والحور، والولدان، والشهداء فإنهم يكونون في شغل بنعيمهم عن هول تلك النفخة.

هذا وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القَصَص: ٨٨] إن كان المراد بالهلاك فيه قابلية الفناء بالذات فالعموم على ظاهره؛ لأن

كل ما عداه تعالى ممكن الوجود قابل للعدم، وإن كان المراد به عدم الانتفاع به بالإماتة أو تفريق الأجزاء، استُثْنِيَ منه العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار ومن فيهما والأرواح ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨] وهي النفخة الثانية، وذلك بعد أن يأمر اللّه السماء أن تمطر فينزل منها ماء فينبتون منه كما ينبت البقل وبين النفختين أربعون سنة.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «بين النفختين أربعون» وأخرج ابن المبارك في الرقائق من مرسل الحسن: «بين النفختين أربعون سنة: الأولى يميت اللّه بها كل حي، والأخرى يحيي اللّه بها كل ميت» اهـ. فتح الباري.

إن خروج الدجال أول العظام المؤذنة بتغيير الأحوال العامة في معظم الأرض.

وإن طلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوي.

وإن خروج النار أول الآيات المؤذنة بقيام الساعة (تلخيص عن ابن حجر في فتح الباري).

❊ ❊ ❊

الإيمان باليوم الآخر وما يلتحق به

الموت حق: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠].

والموت على الوجه المعهود شرعاً من فراغ الآجال المقدرة قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعرَاف: ٣٤].

ويقبض الروح رسول الموت وهو عزرائيل عليه الصلاة والسلام ومعناه عبد الجبار وهو ملك عظيم هائل المنظر مفزع جداً.

وله أعوان بعدد من يموت، لكنه يترفق بالمؤمن، ويأتيه في صورة حسنة، فقد ورد ذلك بأحاديث صحيحة.

والقتيل يموت بأجله، وبعد أن يقتل نقول: لو لم يقتل لمات قطعاً.

وفي صحيح ابن حبان: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا اللّه وأجملوا في الطلب».

وما ورد في بعض الأحاديث عن زيادة العمر بسبب صلة الرحم وغيرها لا يعارض النصوص القطعية. ومحمول إما على القضاء المعلق وما تطلع عليه الملائكة أو الزيادة فيه بحسب الخير والبركة. وأما في علم اللّه الأزلي فلا يتغير شيء.

---

(١) القضاء: مبرم لا يتغير ومعلق فهذا قابل للتغيير.

ورجح الإمام السبكي بقاء الروح وأنها مستثنى من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القَصَص: ٨٨] .

والمشهور أيضاً أن عجْبَ الذنب (وهو عظم كالخردلة في آخر سلسلة الظهر في العصعص مختص بالإنسان) لا يفنى. لما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً. منه يُرَكَّب الخلق يوم القيامة، قالوا: أي عظم هو يا رسول اللّه؟ قال: عَجْبُ الذنب».

وقال بعض العلماء: إن العموم في ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القَصَص: ٨٨] أريد به الخصوص أو عام مخصوص في غير الأمور الواردة في الأحاديث كالروح وعَجْب الذنب، وأجساد الأنبياء والشهداء والعرش والكرسي والجنة والنار والحور العين وغير ذلك.

ورد: إذا مات العبد قامت قيامته فالموت انتقال من الحياة الدنيا التي هي دار العمل إلى دار الجزاء.

ومن المعلوم أن الإنسان يمر في أربعة أطوار من الحياة:

أ - حياته وهو جنين:

يتغذى عن طريق المشيمة، ويتنفس بتنفس أمه.

ب - حياته وهو طفل:

يتغذى عن طريق الفم، ويتنفس عن طريق الأنف وهذه هي الحياة الدنيا.

ج - حياته وهو في القبر:

في البرزخ يتنعم أو يتعذب، وهذه الحياة تختلف كثيراً عن الحياة

الدنيا، والبرزخ أول عالم من عوالم الآخرة ويبتدئ بالموت بالنسبة لكل إنسان، وبالموت عند النفخة الأولى التي تبتدئ بالفزع وتنتهي بالصعق أي الموت.

وبين النفخة الأولى والنفخة الثانية التي تحيا بها الخلائق أربعون سنة، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وروى الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان إذا وقف على قبر بكى حتى يَبُلَّ لحيته، فسئل عن ذلك وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي إذا وقفت على قبر فقال: «سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجى منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد».

د - حياته في الآخرة:

وتبتدئ بالبعث عند النفخة الثانية.

السؤال في القبر: أضيف إلى القبر باعتبار الغالب. وإلا فيسأل الميت ولو تمزقت أعضاؤه، أو أكلته السباع في أجوافها، أو الطيور في حواصلها أو السمك كذلك.

ويتولى السؤال منكر ونكير عليهما الصلاة والسلام فيَعْظُمَانِ حتى يسألا الجميع بوقت واحد أو إن للسؤال ملائكة كثيرين.

ويسأل الميت عن ربه وعن دينه وعن نبيه، وقيل وعن أعماله.

ويقال له: من هذا الرجل الذي بعث فيكم وفي الخلق أجمعين؟ فالمؤمن يقول: هو محمد رسول اللّه جاءنا بالبينات من ربه فاتبعناه

وآمنا به. فيقال له: نم كما تنام العروس. ويمد له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم يُنَوَّر له في قبره.

والمنافق أو الفاجر يقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته. فيقال له: لا دريت ولا تليت ويضرب بمرزبة لو اجتمع عليها أهل منى ما أَقَلُّوها هي بيد أحدهم كالعصا.

وفي البخاري واللفظ له ومسلم: «ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين».

وعند الترمذي وابن حبان في صحيحه: «ويقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه اللّه من مضجعه ذلك».

وهذا السؤال هو فتنة القبر، والأنبياء وشهداء المعركة لا يسألون وغير المكلفين لا يسألون.

وقال بعض العلماء: لا يسأل الصديقون والشهداء والمرابطون والملازمون لقراءة سورة الملك كل ليلة من حين بلوغهم الخبر ولا يضر الترك مرة بعذر، وكذلك من قرأ سورة الإخلاص بمرض موته، ومريض البطن، والميت بالطاعون، والميت ليلة الجمعة أو يومها والراجح أنهم يسألون سؤالًا خفيفاً.

عذاب القبر:

وإضافته للقبر لأنه الغالب، وإلا فكل ميت أراد اللّه تعذيبه عُذِّبَ قُبِرَ أو لم يُقْبَرْ، ولو أكلته الدواب، أو غرق. أو حرق وصار رماداً، أو ذُرِيَ في الرياح.

وقد اتفق أهل الحق على أن المعذب هو البدن والروح جميعاً إذ جائز أن يخلق اللّه تعالى في ذرة ما أشد الآلام وأرقى اللذات.

ويكون هذا العذاب للكافر والمنافق وعصاة المؤمنين، ويدوم على الأَوَّلَيْن، وينقطع عن بعض عصاة المؤمنين، كما يرفع بالدعاء أو الصدقة أو غير ذلك.

وكل من لم يسأل في القبر لا يعذب.

وضغطة القبر من عذابه أي التقاء حافتية حتى تختلف أضلاع المعذب.

ولا ينجو من ذلك أحد حتى الصلحاء إلا الأنبياء، وإلا فاطمة بنت أسد، وإلا من قرأ سورة الإخلاص في مرض موته وسورة تبارك كل مساء، فقد روى البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «إن للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ» وهو الذي اهتز عرش الرحمن لموته. روى البخاري حديث «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ».

وقد أمر النبي ﷺ كل مصل أن يقول قبل السلام: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال» رواه البخاري.

نعيم القبر:

لا يختص بالقبر فهو يشمل كل ميت قدر له قبر أو لم يقبر، ولا يختص بالمؤمنين من هذه الأمة ولا المكلفين، ومن النعيم توسعة القبر وفتح طاقة فيه من الجنة وامتلاؤه بالريحان وجعله روضة من رياض

الجنة، وتنويره حتى يغدو كالقمر ليلة البدر، وكل هذا بما يتناسب مع عالم البرزخ، فقد ورد أن اللّه تعالى أوحى إلى موسى عليه الصلاة والسلام: تعلم الخير وعلمه الناس، فإني منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم.

وعن عمر مرفوعاً: «من نور في مساجد اللّه نور اللّه له في قبره» وكل هذا محمول على حقيقته بما يتناسب مع البرزخ.

وعذاب القبر ونعيمه ورد في نصوص بلغت مبلغ التواتر ولا ينكر ذلك إلا ملحد مطموس البصيرة.

وفي الحديث: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» (رواه الترمذي وحسنه السيوطي: الجامع الصغير).

وروى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت اللّه أن يسمعكم عذاب القبر».

البعث:

عبارة عن إحياء اللّه تعالى الموتى وإخراجهم من قبورهم، بعد جمعه تلك الأجزاء الأصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره، ولو قطعت قبل موته، بخلاف التي ليس من شأنها البقاء.

الحشر:

عبارة عن سوقهم جميعاً إلى الموقف، وهو الموضع الذي سيقفون عليه من الأرض المبدَّلة، التي لم يُعْصَ اللّه عليها لفصل القضاء بينهم ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وفي الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء» (متفق عليه) ولا

فرق بين من يُجازَى كالإنس والجن، وبين من لا يُجازَى كالبهائم والوحوش.

والبعث والحشر للأبدان التي كانت في الدنيا بعينها لا كمثلها وإلا كان المثاب أو المعذب غير الذي أطاع أو عصى وهو باطل بالإجماع.

وفي الصحيحين: «يبعث الناس حفاة عراة غُرْلًا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان، قال عائشة رضي الله عنها: واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض فقال ﷺ: «شُغِلَ الناس عن ذلك بهم ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عَبَسَ: ٣٧] ».

وروى الترمذي وحسنه: «يُحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ركبانا ومشاة وعلى وجوههم. فقال رجل يا رسول اللَّه وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم».

وفي الصحيحين: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً ويلجمهم ويبلغ آذانهم».

طول الوقوف:

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السَّجدَة: ٥] ويطول على الكافرين ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعَارج: ٤] ويقصر على قوم: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا» (حسن، تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي). وهناك أناس في ظل عرش اللَّه يوم لا ظل إلا ظله.

وصف يوم القيامة:

يوم ترى السماء فيه قد انفطرت، والكواكب من هوله قد اندثرت، والنجوم الزواهر قد انكدرت، والشمس قد كُوِّرت، والجبال قد سُيِّرت، والبحار قد سُجِّرت.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة] ثم يؤتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، وتزفر ثلاث زفرات فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خَرَّ على ركبتيه قائلًا: نفسي نفسي لا أسأله إلا نفسي.

٢- الشفاعة العظمى في فصل القضاء وانصراف الناس من الموقف للحساب.

٣- «إخراج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون. يدخلون النار بدون حساب». مسلم.

٤- إخراج بعث الجنة ففي الحديث: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربي» أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه وغيرهما والحثيات: دفعات أي: أعطاني مالا أحصي له عدداً فهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب.

والباقون للحساب قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٢] .

الحساب:

والحساب عبارة عن توقيف اللَّه تعالى العباد، قبل انصرافهم من المحشر على أعمالهم بأن يكلمهم في شأنها وكيفية مالها من الثواب، وما عليها من العقاب، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر].

وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه اللَّه ليس بينه وبين ربه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أَشْأَم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة».

كيفية الحساب مختلفة فمنه: اليسير والعسير، والسر والجهر، والفضل والعدل على حسب الأعمال فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. وأول من يحاسب هذه الأمة، وحكمته: إظهار تفاوت المراتب في الكمال وفضائح أصحاب النقص.

وأن اللَّه سبحانه وتعالى يحاسب العباد على الأعمال، خيراً كانت أو شراً، قولًا كانت أو فعلًا تفصيلًا بعد أخذ كتبهم. وهذا للكافر والمؤمن إنساً وجناً إلا من استثني منهم. قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة].

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

وأما السنة: فقوله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله» أخرجه الترمذي (اهـ من تنوير القلوب).

تطاير الكتب:

كل إنسان يأخذ كتابه إلا الأنبياء ومثلهم الملائكة لعصمتهم، ومن يدخل الجنة بغير حساب، ورئيسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

* وكل واحد يقرأ كتابه ولو كان أمياً قراءة حقيقية.

* السيئة تقابل بمثلها إن قوبلت.

* الحسنة تقابل بضعفها بمحض فضل اللّه وكرمه والمضاعفة أنواع:

١- قسم يضاعف إلى عشرة وهو عمل البدن كالذكر في الحديث: «من قرأ حرفاً من كتاب اللّه فله به حسنة، والحسنة بعشر

أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن أقول ألف حرف ولام حرف وميم حرف». رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

٢- وقسم يضاعف بخمسة عشر. في الحديث: «صم يومين ولك أجر ما بقي» رواه مسلم.

٣- وقسم بثلاثين. في الحديث: « صم يوماً ولك أجر ما بقي» رواه مسلم.

٤- وقسم بخمسين. في الحديث: «ومن قرأه قاعداً فله بكل حرف خمسون حسنة». (رواه الديلمي عن أنس. كنز العمال) والمراد معرفة معانيه.

٥- وقسم بسبعمائة وهو نفقة الأموال في سبيل اللّه تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٦١] .

٦- وقسم لا ينحصر وهو عمل القلب كالصبر. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠] ومما ينبغي أن يعلم أن مراتب التضعيف متفاوتة حسب ما يقترن العمل بالإخلاص وحسن النية وهذا ظاهر.

ومما يجب اعتقاده أن اللّه تعالى يعفو عن كبائر السيئات بسبب التوبة منها، ويغفر الصغائر باجتناب الكبائر قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النِّساء: ٣١] .

ومما يجب اعتقاده أن من مات ولم يتب من الكبائر غير الكفر فهو تحت مشيئة اللّه عز وجل إن شاء عاقبه بعدله، وإن شاء غفر له

بفضله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء: ٤٨] .

ومما يجب اعتقاده تعذيب بعض غير معين من عصاة المؤمنين ارتكب كبيرة من غير تأويل يعذر به ومات ولم يتب. لورود ذلك شرعاً.

وعندما تطلق (هذه الأمة) فالمراد بها أمة الإجابة وهم المؤمنون والتضعيف خاص بها.

والحاصل أن الناس على قسمين: مؤمن وكافر فالكافر مخلد في النار أبداً. والمؤمن على قسمين: طائع وعاص. فالطائع في الجنة قطعاً. والعاصي على قسمين: تائب وغير تائب. فالتائب في الجنة قطعاً. وغير التائب على تقدير عذابه لا يخلد في النار.

الميزان حق:

وهو ميزان حسي له لسان وكفتان كما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما ونمسك عن تعيين حقيقته إحداهما نيرة وهي اليمنى المعدة للحسنات، والأخرى مظلمة وهي اليسرى المعدة للسيئات قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

وأما الموزون فهو صحف الأعمال لحديث: «إن اللّه يستخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلًا كل سجل منها مد البصر، فيقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يارب. فيقول: ألك حسنة؟ فيقول: لا يا رب فيقول: بلى

إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضُر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع السجلات فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثَقُلَت البطاقة ولا يثقل مع اسم اللَّه شيء» رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي.

وقال بعضهم: إن الذي يوزن هو الأشخاص ويستدل له بحديث الصحيحين: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند اللَّه جناح بعوضة اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] وقال بعضهم: إن الذي يوزن أعيان الأعمال. وعلى كل ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون].

الحوض:

ورد أن أطفال المسلمين حوله، وعليهم أقبية الديباج، ومناديل من نور، وبأيديهم أباريق من فضة، وأقداح من ذهب، يسقون آباءهم وأمهاتهم الذين صبروا عند فقدهم وأما الذين سخطوا فلا يؤذن لهم في سقيهم.

يرد على الحوض كل من تمسك بالشريعة ولم يغير ولم يبدل ولم يتخذ عقيدة غير ما عليه ﷺ وأصحابه، ويطرد المرتدون والخوارج والروافض والمعتزلة والظلمة الجائرون والمعلن بالكبائر والمستخف بالمعاصي وأهل الزيغ والبدع والكفار. قال ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك،

وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً» وفي رواية: «ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل». متفق عليه.

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء أو مثل ما بين المدينة وعمان».

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: أغفى رسول اللَّه ﷺ فرفع رأسه متبسماً فقالوا له: يا رسول اللَّه لم ضحكت؟ فقال: آية أنزلت علي آنفاً وقرأ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] حتى ختمها ثم قال: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء».

الصراط حق:

ورد أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف - ولعله على حسب العمل يتسع ويضيق وعلى حسب النور فقبل الصراط جاء في الحديث: «ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم» (رواه ابن عدي والحاكم: تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي).

ثم ذكر في الحديث مرورهم على الصراط على قدر أعمالهم.

وروي عن زياد النميري عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «الصراط كحد الشعرة أو كحد السيف» قال البيهقي: وهي رواية صحيحة وأول الصراط في الموقف وآخره عند مرج، أي: فضاء، وفيه درج يصعد عليه إلى باب الجنة وطوله ثلاثة آلاف سنة ألف صعود وألف هبوط وألف استواء. وذكر الحافظ ابن حجر في شرحه فتح الباري على

صحيح البخاري أن طوله خمسة عشر ألف سنة. اهـ تنوير القلوب.

قال رسول الله ﷺ: «يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجيز بأمته من الرسل ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: «اللهم سلم، اللهم سلم» وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تختطف الناس بأعمالهم فمنهم من يُوبَق بعمله ومنهم من يُخَرْدَل ثم ينجو» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يميناً وشمالاً وعلى جنبتيه ملائكة يقولون: اللهم سلم، اللهم سلم. فمن الناس من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المُجْرِي، ومنهم من يسعى سعياً ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم من يزحف زحفاً. فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون، ولا يحيون، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحماً، ثم يؤذن في الشفاعة» وذكر إلى آخر الحديث، متفق عليه مع اختلاف في الألفاظ.

ووقت المرور على الصراط بعد الحساب فمن تعداه نجا، جعلنا الله من الناجين.

والناس متفاوتون في النجاة، فمنهم السالم من الوقوع في النار، ومنهم من الواقع فيها إما على التأبيد والدوام وهم الكفار والمنافقون، أو إلى مدة يريدها الله تعالى ثم يَنْجُون، وهم بعض عصاة المؤمنين.

وسرعة النجاة بقدر الأعمال كما مر في الحديث.

فأعلى الناجين هم أهل رجحان الأعمال الصالحة والسالمون من السيئات ممن خصهم اللّٰه بسابقة الحسنى وهم الذين يجوزون كطرف العين.

وبعدهم الذين يجوزون كالبرق الخاطف (ومنهم الذي يمر كانقضاض الكوكب).

وبعدهم الذين يجوزون كالريح العاصف (ومنهم الذي يمر كالسحاب).

وبعدهم الذين يجوزون كالطير.

وبعدهم الذين يجوزون كالجواد السابق (كشَدِّ الفرس).

(ومنهم من يجوز كشد الرحل) ومنهم من يجوز سعياً، ومشياً، ومن يجوز حبواً.

وبالجملة فعلى قدر الاستقامة على الصراط المستقيم في الدنيا يكون الثبات والنجاة على الصراط الحسي في الآخرة.

فمن استقام في الدنيا على الصراط المستقيم خف على الصراط ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا تعثر على الصراط وتردى.

الشفاعة حق:

وهي ثابتة لنبينا ﷺ ولسائر الأنبياء، والصديقين وللعلماء والصالحين، وكل من له جاه عند اللّٰه وحسن معاملة، فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه، وروي «استكثروا من الإخوان فإن

لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة» (رواه ابن النجار في تاريخه عن أنس وضعفه السيوطي في الجامع الصغير).

لا تحتقر مؤمناً فإن اللّه خبأ ولايته في عباده، ورب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على اللّه لأبره كما جاء في الحديث الصحيح.

لا تستصغر معصية فإن تحت كل معصية غضب اللّه، ولا تحتقر طاعة فإن تحت كل طاعة رضا اللّه، ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة أو النية الحسنة أو ما يجري مجرى ذلك.

ويجب أن نعتقد أنه لا يشفع أحد عند اللّه إلا بإذنه - وهي لإظهار مزية الشافع - فمن أراد اللّه رحمته شَفَّعَ فيه أحبابه.

وشواهد الشفاعة كثيرة قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضّحى: ٥].

وفي مسلم عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول اللّه ﷺ تلا قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم] وقول عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ﴾ [المَائدة: ١١٨]، ثم رفع يديه وقال: «أمتي أمتي» ثم بكى فقال اللّه عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل فسأله، فأخبره - واللّه أعلم به - فقال: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. وقال ﷺ: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، وأنا أول شافع وأول مشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه» رواه الترمذي وقال: حسن.

وقال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم من غير فخر» رواه الترمذي وابن ماجه عن أُبي بن كعب وقال الترمذي: صحيح حسن.

وقال ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أخبيء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فهذه شفاعة الرسول ﷺ.

وأول الشفاعات الشفاعة العظمى في فصل القضاء لإراحة الناس من هول الموقف وهذه مختصة بالنبي ﷺ وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون.

وأحاديث الشفاعة العظمى مروية في البخاري ومسلم وسائر كتب السنة فأحاديثها متواترة معنى.

ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضاً حتى قال ﷺ: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر» (رواه الحاكم في المستدرك) رويناه في جزء أبي عمرو بن السماك من حديث أبي أمامة إلا أنه قال مثل أحد الحيين ربيعة ومضر وفيه فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان رضي الله عنه وإسناده حسن (تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي).

والشفاعة بعد الشفاعة العظمى أنواع عد منها في تنوير القلوب بعد الشفاعة العظمى خمساً:

١- الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب قال النووي: وهي

مختصة به ﷺ.

٢- الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

٣- الشفاعة فيمن دخل النار من الموحدين أن يخرج منها ويشترك فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون.

٤- الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها.

٥- الشفاعة في تخفيف العذاب عمن استحق الخلود وهي مختصة به ﷺ اهـ. تنوير القلوب.

ملاحظة هامة:

لا ينبغي ترك العمل اعتماداً على الشفاعة ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول اللَّه ﷺ حين أنزل اللَّه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] قال: «يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من اللَّه، لا أغني عنكم من اللَّه شيئاً، يا بني عبد المطلب! لا أغني عنكم من اللَّه شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من اللَّه شيئاً. يا صفية عمة رسول اللَّه! لا أغني عنك من اللَّه شيئاً. يا فاطمة بنت رسول اللَّه! سليني بما شئت، لا أغني عنك من اللَّه شيئاً» (متفق عليه واللفظ لمسلم) والأحاديث في طلب العمل وعدم الاعتماد على الشفاعة كثيرة.

عن أبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي خادم رسول اللَّه ﷺ ومن أهل الصُّفَّة رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول اللَّه ﷺ، فآتِيه بوَضوئه وحاجته فقال: «سلني» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» رواه مسلم.

الوَضُوء: الماء المعد للوُضوء. حاجته: ما يحتاج إليه من لباس وغيره. فأعني فيه إشارة إلى أنه ﷺ مجتهد أي اجتهاد في إصلاحه كغيره وفيه فضل الصلاة. وفي الحديث الذي رواه مسلم: «يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من اللّه شيئاً غير أن لكم رحماً سأَبُلُّها بِبَلَالِها» البَلَالُ: الماء. والصلة تبرد حرارة القطيعة.

النار حق:

يدخلها الكفار وهم خالدون فيها ويدخلها عصاة المؤمنين وهم غير مخلدين فيها وهي سبع طبقات.

١- جهنم لمن يعذب من عصاة المؤمنين وتصير خراباً بخروجهم منها.

٢- وتحتها لظى لليهود.

٣- ثم الحطمة للنصارى.

٤- ثم السعير للصابئين.

٥- ثم سقر للمجوس عُبَّاد النار.

٦- ثم الجحيم لعبدة الأصنام.

٧- ثم الهاوية للمنافقين.

اهـ. تنوير القلوب. واللّه أعلم.

أخرج البخاري: «كان أكثر دعاء النبي ﷺ: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فسمعنا وَجْبَةً فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً الآن انتهى إلى قعرها».

وقد روى البخاري ومسلم: «إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعل نعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه».

وروى مالك والشيخان وغيرهما: «ناركم هذه التي يوقد بها بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قالوا: والله إنْ كانَتْ لَكافِيَة. قال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها».

وفي النار أودية كالويل، وَجُبِّ الحزن.

روى أحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، والحاكم وصححه: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره» وروى الترمذي: «ويل واد بين جبلين يهوي فيه الكافر سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره».

ويل أعد للهمزة اللمزة وأعد للذين يخرجون الصلاة عن وقتها والذين يراءون ويمنعون الماعون: الماعون: الزكاة أو العارية.

وفيها مقامع:

روى أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه: «لو أن مقمعاً من حديد جهنم وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلُّوه من الأرض» وروى الحاكم وصححه: «لو ضرب الجبل بمقمع من حديد جهنم لتفتت فصار رماداً».

وفيها حيات وعقارب:

روى أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه: «إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين سنة» الزواجر.

وجاء في كتاب الإحياء: إن في النار لحيات مثل أعناق البُخْت يلسعن اللسعة فيجد حَمْوَتَها أربعين خريفاً وإن فيها لعقارب كالبغال المُوكَفَة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً.

تعظيم أجساد أهل النار:

إن اللّه تعالى يزيد في أجسامهم طولًا وعرضاً حتى يتزايد عذابهم بسببه، فيحسون بلفح النار، ولدغ العقارب والحيات.

ففي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ضرس الكافر في النار وغلظ جلده مسيرة ثلاث».

وروى الشيخان: «ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع» والمنكب رأس الكتف والعضد.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النِّساء: ٥٦].

وفي الزواجر: ومنه الحديث الصحيح: «إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر، وإن من أمتي من سَيَعْظُم للنار حتى يكون إحدى زواياها» (حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم. الحاكم في المستدرك).

قال الضحاك: الحميم: ماء يغلي منذ خلق اللّه السموات والأرض إلى يوم يسقونه، ويصب على رؤوسهم ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمّد: ١٥] ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحجّ: ١٩].

وروى أحمد والترمذي وقال: غريب والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم عنه ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧] قال: يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره، قال اللّه عز وجلّ: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ وقال جل ذكره: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، والمُهل: عَكِر الزيت.

وروى أحمد والحاكم وصححه: «لو أن دلوا من غسَّاق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا» والغساق هو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النّبأ: ٢٥].

طعام أهل النار: الزقوم:

روى الترمذي وقال: حسن صحيح: «أنه ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمران: ١٠٢] فقال ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه». وفي رواية: «فكيف بمن يكون ليس له طعام غيره». وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المُزمّل: ١٣] شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج .

ولقد تحدث القرآن عنها في سورة [الصافات]: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ .

الجنة حق:

وهي درجات: سبع جنات متجاورات أو أربع أو واحدة.

الفردوس: وهي أعلاها وسقفها عرش الرحمن ومنها تفجر أنهار الجنة. وللجنة أسماء: جنة المأوى وجنة الخلد وجنة عدن، ودار السلام، ودار الجلال ودار النعيم، والجنة مطهَّرة من الأقذار كالبول والغائط والحيض والنفاس والبصاق والمني.

وإنما فضلات طعامهم جُشَاءٌ ورَشْح كرشح المسك، وقد رُوِي أن مِلاطَها المسك وترابها الزعفران وحَصْبَاؤها الدر والياقوت وبناءَها لبنة من فضة ولبنة من ذهب فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وبالختام ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: ٢٦] فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

أخرج البخاري في صحيحه: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر».

شجر الجنة:

في الصحيح: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» متفق عليه. اقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقِعَة: ٣٠].

ثياب أهل الجنة:

عن عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: وقام آخر فقال يا رسول اللّه أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق يخلق؟ أم نسج ينسج؟ فضحك بعض القوم: فقال رسول اللّه ﷺ: «مم تضحكون؟ من جاهل يسأل عالماً؟ أين السائل؟» قال: أنا ذا يا رسول اللّه، قال: «تنشق عنها ثمار الجنة» مجمع الزوائد (ص٤) رواه البزار في حديث طويل ورجاله ثقات.

وفي الحديث: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» رواه البزار وإسناده حسن.

وفي الحديث: «النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

نساء أهل الجنة:

﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢، ٢٣] ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٠] ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصَّافات: ٤٩] ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقِعَة: ٣٧].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما ولتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد (ملاحظة: نساء الدنيا أفضل من الحور العين).

غرف الجنة:

«إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها اللَّه لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام»، قال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢] رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا عبد اللَّه بن معانق ووثقه ابن حبان.

منازل المتحابين في اللَّه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن المتحابين في اللَّه لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي فيقال: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في اللَّه عز وجل» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

صفات أهل الجنة:

روى الشيخان: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، مجامرهم الألُوَّة، أزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء».

وفي رواية لهما: «لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون اللَّه بكرة وعشياً».

روى الترمذي وقال: حسن غريب: «يدخل أهل الجنة الجنة

جرداً مرداً بيضاً جُعْداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ﷺ، ستون ذراعاً في عرض تسعة أذرع» (رواه الطبراني في الصغير والأوسط وإسناده حسن، وفي الصحيح بعضه مجمع الزوائد).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سئل النبي ﷺ عن الجنة فقال: من يدخل الجنة يحيا فيها لا يموت، وينعم فيها لا يبؤس، ولا يفنى شبابه، قيل: يا رسول اللّه ما بناؤها؟ قال: لَبِنَةٌ من ذهب، ولبنة من فضة، مِلاطُها المسك، وترابها الزعفران، حصباؤها الؤلؤ والياقوت. رواه الطبراني بإسناد حسن (مجمع الزوائد ٣٩٧ ص ٤).

سعة أبوابها:

عن معاوية بن حَيَدة أن رسول اللّه ﷺ قال: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على اللّه عز وجل، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وإنه لكظيظ» (قلت: عند الترمذي وغيره بعضه - رواه أحمد ورجاله ثقات. مجمع الزوائد).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً جعداً مُكَحَّلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ﷺ ستون ذراعاً في سبعة أذرع» (قلت: في الصحيح بعضه - رواه الطبراني في الصغير والأوسط وإسناده حسن. مجمع الزوائد).

من يدخل الجنة بغير حساب:

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول اللّه ﷺ قال: «إن ربي أعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر: يا رسول اللّه فهلا استزدته. قال: استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين

ألفاً قال عمر: فهلا استزدته. قال: استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً قال عمر: فهلا استزدته قال: قد استزدته فأعطاني هكذا وفرج عبد اللَّه بن أبي بكر بين يديه قال عبد اللَّه وبسط باعيه وحدثنا عبد اللَّه وقال هشام: وهذا من اللَّه لا ندري ما عدده». (رواه أحمد والبزار بنحوه والطبراني بنحوه. مجمع الزوائد ص ٤١١ ج٤).

وعن عمر بن الخطاب ﵁ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: ليبعثن اللَّه من مدينة بالشام يقال لها حمص تسعين ألفاً لا حساب عليهم ما بين الزيتون والحائط والبُرْثِ الأحمر» رواه البزار وفيه أبو بكر بن عبد اللَّه بن أبي مريم وهو ضعيف.

خيل الجنة:

عن عبد الرحمن بن ساعدة قال: كنت أحب الخيل فقلت: يا رسول اللَّه هل في الجنة خيل؟ فقال: إن أدخلك اللَّه الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرس من ياقوت له جناحان يطير بك حيث شئت. رواه الطبراني ورجاله ثقات.

تفاوت منازل أهل الجنة:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءَون أهل الغرف من فوقهم كما تراءَون الكوكب الدري الغابِر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول اللَّه تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا باللَّه، وصدقوا المرسلين» متفق عليه.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه

ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تَصُحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً».

خلود أهل الجنة وخلود أهل النار:

قال ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يناد مناد: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح وابن ماجه عن ابن عمر مرفوعاً.

طعام أهل الجنة:

قال زيد بن أرقم رضي الله عنه: جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ وقال: يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لأصحابه إن أقر لي بها خصمته. فقال رسول الله ﷺ: «بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطي قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع» فقال اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة، فقال رسول الله ﷺ: حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضمر» قال العراقي: رواه النسائي في الكبرى بإسناد صحيح.

لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم:

قال الله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

قال ﷺ: «إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين

المشرق والمغرب».

وقال ﷺ: «الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلًا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون» رواه البخاري.

قال تعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٦].

الحور العين والولدان:

قال ﷺ: «ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت وملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» رواه البخاري عن أنس (النصيف يعني الخمار).

قال تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٥] قال مجاهد: من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد.

وقال عبد اللّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة». الحديث رواه الترمذي وقال: غريب».

أنهار الجنة:

قال تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: ١٥]، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصَّافات: ٤٧] أي: لا تُسَفِّه الأحلام(١)، ولا تَصَدَّعُ منها الرءوس(٢).

(١) تفسير لقوله: لا فيها غول.
(٢) تفسير لقوله: ولا هم عنها ينزفون.

الإيمان بالقضاء والقدر

ركن من أركان الإيمان الستة، فقد سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «يا محمد أخبرني عن الإيمان قال ﷺ: أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه البخاري ومسلم.

وروى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «كتب اللّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة».

وروى الإمام أحمد والترمذي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه بسند حسن أن النبي ﷺ قال: «إن أول ما خلق اللّه القلم فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة».

وقد نُفي الإيمان عمن لم يؤمن بالقضاء والقدر فقال ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه» رواه الترمذي عن جابر رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «كل شيء بقضاء وقدر حتى العَجزِ والكَيْسِ» أي حتى البلاهةِ والفطانةِ، فكل العباد مخلوقون للّه تعالى، وأعمالهم معلومة للّه قبل وجودها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك: ١٤].

وقد أراد اللّه سبحانه أن تقع على الوجه الذي تقع فيه.

وأفعال العباد ستقع وفق علمه وإرادته، وكل ما يجري في الكون

وفق علمه وإرادته. وقد قدر اللّٰه وقوع كل شيء وفق علمه وإرادته وكل ما يجري في الكون لا يخرج عن قضائه وقدره ولا يستطيع أحد التغيير والتبديل.

وقد قال ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّٰه لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللّٰه عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فاللّٰه فاعل مختار ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، ما شاء اللّٰه كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما يقع في الكون معلوم له قبل وقوعه، وموافق لما أراده وقدَّره، وإنكار شيء من هذا يعرض صاحبه للضلال والعذاب وفي الحديث الشريف أن كفار قريش جاءوا إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت هذه ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٧ - ٤٩] فالرزق مقسوم والأجل محتوم.

الرزق:

قال عنه تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

الأجل:

قال عنه اللّٰه سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وفي الحديث الصحيح: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه،

أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث اللّه إليه ملكاً، ويؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله عمله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح. فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة». متفق عليه.

وفي الحديث أيضاً: «إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا اللّه وأجملوا في الطلب» (رواه أبو نعيم والطبراني عن أبي أمامه والبزار عن حذيفة، وأخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا وصححه الحاكم عن ابن مسعود، كشف الخفاء للعجلوني). أي اطلبوا الرزق بالطرق الجميلة أي المشروعة. «ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصيته، فإن اللّه لا ينال ما عنده إلا بطاعته». (رواه الطبراني في الكبير وهو ضعيف مجمع الزوائد).

وأهل السعادة يعملون بعمل السعادة، وأهل الشقاوة يعملون بعمل الشقاوة. ولا يعني هذا تعطيل الأسباب، وقد قال بعض الصحابة: يا رسول اللّه أفلا نتكل على كتابنا[1] قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له». (رواه الطبراني في الكبير وصححه السيوطي. الجامع الصغير للسيوطي).

والعمل مأمور به نصاً ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى

(١) أي على ما قُدِّر.

مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلك: ١٥] وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجُمُعَة: ١٠] .

إن اللَّه ربط الأسباب بالمسببات، فالأسباب من قدر اللَّه، والوصول إلى المسببات عند الأخذ بها من قدر اللَّه.

ومعنى التوكل: الأخذ بالأسباب كما أمر اللَّه والاعتماد على اللَّه في الوصول إلى المسببات. وأما ترك الأسباب فليس من التوكل في شيء بل هو من التواكل.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة».

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن ترك الأخذ بالأسباب معاندة للقضاء والقدر وهو مخالفة للشرع، وأيضاً هو مخالفة للعقل بل من قلة العقل.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها   إن السفينة لا تجري على اليبس

إن الذي يطلب الرزق بدون عمل معاند للقدر، والذي يطلب الجنة بدون عمل سيء الأدب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] .

من سلك مسلك السعادة يسعد إن شاء اللَّه ومن سلك مسلك الشقاوة عرض نفسه للشقاوة. ومن طلب النصر بغير جهاد ولا استعداد

فقد أخطأ الطريق وطلب النصر بطريق الخذلان، ومن طلب المغفرة بدون توبة ولا استغفار كان كمن طلب الجنة بعمل أهل النار.

أمثلة على ربط الأسباب والمسببات:

من سنن اللَّه في الكون: أن اللَّه قدَّر:

١- أن الحبَّة الصالحة إذا ألقيت في التربة الصالحة وأجرى عليها الماء قدر اللَّه أن ينبت فيها نبات.

٢- وأن نواة التمر تنبت نخلة لا تنبت زيتونة.

٣- وأنه إذا اتصل الذكر بالأنثى من الإنسان والحيوان مع سلامة الأعضاء وموافقة الزمن والاستعداد يكون نسل من جنسه.

٤- وأن يولد الإنسان طفلًا ثم يصير صبياً فمراهقاً فشاباً وكهلًا فهَرِماً إذا امتد به العمر.

٥- وأن يمنح العبد قدرة وإرادة يزاول بهما بإذن اللَّه مصالحه ويسعى في كسب رزقه وجلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وإذا استعملها بذلك وصل إلى ما قُدِّر له.

٦- وأن يمنح الإنسان عقلًا يميز بين النافع من الضار والخير من الشر والهدي من الضلال.

٧- وأن يرسل اللَّه للمكلفين رسلًا يرشدونهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وربط باتباعهم وطاعتهم سعادتهم. وبمعصيتهم والمخالفة عن أمرهم شقاوتهم.

٨- وأن يكلفه بأنواع من التكاليف فإن نهض بها أثابه وإن لم يفعل

استحق عقابه.

٩- وأن يجعله مختاراً فيما يأتي ويدع، وأن يجعل هذا الاختيار أساساً للتكاليف الشرعية حتى إذا ذهب الاختيار ذهب التكليف.

وبالاختصار الأسباب من قَدَر اللَّه ووجود المسببات عند تعاطيها من قَدَر اللَّه فاللَّه خلق النار وخلق الحرق عند ملامستها، وخلق الطعام وخلق الشبع عند تناوله وخلق الماء وخلق الري عند شربه وخلق السكين وخلق القطع بها عند استعمالها، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّافات: ٩٦].

والذين ينفون القدر ويقولون: الأمر أُنُفٌ إن اللَّه يستأنف علم الأشياء عند وقوعها اسمهم القَدَرِيَّة وهم فئة ضالة حكم عليها علماء المسلمين بالكفر والضلال - وقد ذكر أنها انقرضت قبل الإمام الشافعي.

والذين يقولون: إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أوجدها اللَّه فيه فهم قَدَرِية وهم المعتزلة، وهم أيضاً فئة ضالة ولولا قولهم بقدرة أوجدها اللَّه فيه لحكم عليها العلماء بالكفر.

نحن مطالبون شرعاً أن ندفع الأقدار بالأقدار.

* فالجوع من القدر ندفعه بقدر الطعام.

* والعطش من القدر ندفعه بقدر الشراب.

* والمرض من القدر ندفعه بقدر الدواء.

ولو أن أمرأً استسلم لقَدَرِ الجوع والعطش مثلًا وهو قادر على دفعه ثم مات. مات عاصياً للَّه تعالى الذي نهاه أن يلقي بيده إلى

التهلكة ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البَقَرة: ١٩٥] .

وقد أفصح الرسول ﷺ عن هذا كل الإفصاح وأوضحه كل الإيضاح حين قيل له: يا رسول اللّه أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقي بها وتقى نتقيها هل تُرُدُّ من قدر اللّه شيئاً فقال ﷺ: «هي من قدر اللّه» (رواه ابن ماجه في السنن. والحاكم في المستدرك عدا «وتقى نتقيها» وبلفظ: «هي من قدر اللّه» وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

فانظروا إلى هذا الجواب الحكيم الذي يحفز الهمم إلى العمل النافع، ويهيب بالناس باتخاذ الأسباب والإمعان في الحذر.

روى البخاري في صحيحه والإمام مالك في موطئه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما خرج إلى الشام في إحدى قدوماته لقيه في سرع قرب تبوك أمراء الأجناد أبو عبيدة وأصحابه فأخبروه أن الطاعون في الشام. قال ابن عباس رضي الله عنهما: فقال عمر رضي الله عنه: ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء وقع بأرض الشام. فاختلفوا. فقال: بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول اللّه ﷺ ولا نرى أن تُقْدِمَهم على هذا الوباء، وقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه. فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي من كان هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان. فقالوا: نرى أن ترجع بالناس لا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه :

أفراراً من قدر اللَّه؟ فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفرُّ من قدر اللَّه إلى قدر اللَّه أرأيت لو كانت لك إبل هبطت وادياً له عَدْوَتَان: إحداهما خصبة، والأخرى جدبة. أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر اللَّه، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر اللَّه.

وقد قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفَال: ٦٠] وقال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النِّساء: ١٠٢] فإعداد العدة وأخذ الحذر هو من باب دفع الأقدار بالأقدار.

ومدافعة الأقدار على نوعين:

الأول: مدافعة الأقدار قد انعقدت أسبابها ولم تقع. بأقدار تدفعها وتحول دون وقوعها كمدافعة عدو مغير بالإعداد له ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ [الأنفَال: ٦٠] .

الثاني: مدافعة أقدار قد وقعت بأقدار تدفعها كمدافعة المرض بالدواء وإليه يشير قوله ﷺ: «تداووا عباد اللَّه فإن اللَّه لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد، قالوا: وما هو يا رسول اللَّه؟ قال: الهرم».

أما القعود عن مدافعة الأقدار بالأقدار مع القدرة عليها فهي من العجز الأثيم الذي نهينا عنه. وفي الحديث: «احرص على ما ينفعك، واستعن باللَّه، ولا تعجز» رواه مسلم. والعجز هو القعود عن العمل مع القدرة عليه كسلًا وتهاوناً فإذا بذل الإنسان جهده وخرج الأمر من يده كان معذوراً ويقول: «قدر اللَّه وما شاء فعل».

جرت عقيدة القدر بالمسلمين شوطين متباينين أشد التباين

متناقضين أشد التناقض.

فقد كانت أول الأمر دافعة إلى العمل باعثة على الجد حاملة على خوض المعارك الدامية، وركوب الأخطار الدانية، ذلك يوم كانوا يعتقدون أن الآجال مقدرة وأن الإنسان مخلوق للعمل بما يرضي اللَّه تعالى، وأن كل امرئ ميسَّر لما خلق له، واثقين كل الثقة أنه لن يصيبهم إلا ما كتب اللَّه لهم، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأنه ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللَّه كتاباً مؤجلا. فكان الإيمان بالقضاء والقدر باعثاً دافعاً حافزاً مشجعاً لا مثبطاً ولا مبطئاً.

وهناك آخرون فهموا عقيدة القدر فهماً مثبطاً فقعدوا عن العمل وإعداد العدة والأخذ بالأسباب واستسلموا للعدو فخرج الأمر من يدهم وغلبهم المغلوبون وخسروا دينهم ودنياهم.

ومن اعتقد أنه موكول إلى نفسه وأن ما يصيبه من الخير يعود لجَدِّه ونشاطه، يأخذ به الغرور ويتملكه البطر، وينسى شكر ربه عز وجل.

وإن حلت به مصيبة فرأى أن لا سبب لها إلا سوء تدبيره وقلة فهمه يتملكه الحزن والأسف ويقتله الجزع وربما فقد عقله ورشده، والذي ينقذه في الحالين أن يؤمن أن ما وقع له جرت به المقادير. قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣] والذي يؤمن بالقدر أبعد ما يكون عن الحسد سخي لا يبخل وشجاع لا يجبن فالإيمان بالقضاء والقدر إيمان بالحقيقة وطاعة للَّه يثاب عليها ويستلزم ذلك الرضا فلا شيء أثلج للقلوب من معرفة الحقيقة والإيمان بها.

أخرج ابن عساكر عن علي ﷺ أنه قال: من رضي بقضاء اللّه وقدره جرى عليه وكان له أجر، ومن لم يرض بقضاء اللّه وقدره جرى عليه وحبط عمله.

وفي الحديث القدسي: «من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليلتمس رباً سواي». (رواه الطبراني عن أبي هند الداري، ورواه البيهقي عن أنس بلفظ: لم يرض بقضائي وقدري فليلتمس ربا غيري. كشف الخفاء للعجلوني).

للعبد أمام القضاء والقدر أربعة أحوال:

* قضاء بالطاعات فعليه أن يستقبله بالجهد والإخلاص حتى يكرمه اللّه بالتوفيق والهداية.

* قضاء بالمعاصي فعليه أن يستقبله بالتوبة والاستغفار حتى يكرمه اللّه بالمغفرة.

* قضاء بالنعمة فعليه أن يستقبله بالشكر والسخاء حتى يكرمه اللّه بالزيادة.

* قضاء بالبلاء والمحن فعليه أن يستقبله بالصبر حتى يعطيه اللّه الكرامة في الدار الآخرة.

لا يصح الاحتجاج بالقدر لدفع الحد ولا لدفع العقاب وذلك لأن القدر لا اطلاع للعبد عليه فهو باختياره ارتكب المعصية أو باختياره قام بالطاعة فهو محاسب على النهي والأمر وهو معاقب أو مثاب على ذلك. وقد قيل: إن اللّه يحاسب العباد على ما نهى وأمر لا على ما قضى وقدر.

ولكن يصح الاحتجاج بالقدر بعد الوقوع لدفع اللوم والعتاب، كما كان بين آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام[١].

خلاصة هامة:

يجب على المكلف أن يؤمن بأن اللّه تعالى علم أزلًا بجميع أفعال العباد، وخصص بإرادته سبحانه أزلًا هذه الأفعال على وفق العلم، وأنه أوجدها - حين أوجدها فيما لا يزال - على القدر المخصوص والوجه المعين الذي سبق العلم به وخصصته الإرادة بل إن ذلك مما لا يتحقق الإيمان إلا به.

وهناك أمور ينبغي ملاحظتها:

* إن أعمال العباد لها علاقة كبرى وآثار في الكون.

* ما نزل بلاء من السماء إلا بذنب ارتكبه أهل الأرض ولن يرفع إلا بتوبة.

* وما يتناول العباد من عقاب إلهي بشؤم ذنوبهم وسوء سلوكهم.

* ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشّورى: ٣٠].

* ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الرُّوم: ٤١].

---

(١) ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك اللّه بكلامه وخط له بيده أتلومني على أمر قد قدره اللّه علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة. فحج آدم موسى. فحج آدم موسى. ثلاثاً».

* من عصى اللّه فقد أفسد في الأرض وكان سبباً لهلاك الحرث والنسل. ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٥].

* ورد أن النملة قالت: اللهم لا تهلكنا بذنوب بني آدم.

* ثبت في الصحيحين: «إن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب».

* والعاصي معتد على نفسه ومعتد على المجتمع.

* ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

* * *

الإسراء والمعراج

ويجب أن نعتقد بالإسراء والمعراج.

الإسراء:

ذكره القرآن: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسرَاء: ١] .

والمعراج:

ذكر في سورة النجم ما يدل عليه وجاءت بهما الأحاديث الصحيحة: منها ما رواه أبو ذر في صحيح مسلم قال ﷺ: «فُرِج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ﷺ فَفُرِج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب مملوء حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء...» إلخ.

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء قال: ثم دخلت المسجد، فصليت به ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه الصلاة والسلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء ... إلخ.

والإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد يقظة لا مناماً وهو الحق

الذي عليه أكثر العلماء ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين عليه والأحاديث تدل على ذلك.

من الأدلة على ذلك كلمة (بعبده) التي تشمل الروح والجسد.

ومنها استنكار المشركين لذلك فلو كان بالمنام لما استنكروا ذلك ومنها سؤاله عما رأى في الطريق وإجابته لهم بمشاهداته والتحقق منها.

ومنها: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٣ - ١٧] فلا يقال هذا في المنام.

وقد فرضت الصلاة في المعراج خمسين وقد راجع رسول الله ﷺ الله حتى صارت خمساً وهي خمس في العدد وخمسون في الأجر كما ثبت ذلك بالصحاح.

ومنها سؤالهم له عن صفات بيت المقدس (المسجد الأقصى) وكرب لذلك النبي ﷺ. روى مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به».

وقد حكم العلماء على منكر الإسراء بالكفر لإنكاره النص الصريح في أول سورة الإسراء. وكذلك حكم البعض على منكر المعراج لثبوته بما تدل عليه سورة النجم. ولكن الأكثرين حكموا على منكر المعراج بالفسق لثبوته بالحديث الصحيح. وقالوا: يخشى عليه الكفر.

رؤية اللَّه سبحانه وتعالى في الدنيا:

جائزة لوقوعها في الآخرة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ولو لم تكن جائزة لما سألها موسى عليه الصلاة والسلام، إذ لا يجهل نبيٌّ ما يجوز وما يمتنع في حقه تعالى.

واختلف العلماء في وقوعها لنبينا ﷺ في الدنيا فقد ذكر القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك.

وذكر أن السيدة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنكرته كما وقع هنا في صحيح مسلم عنها وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود.

وذكر أن عبد اللَّه بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا روى عن النبي ﷺ أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وكان الحسن البصري يحلف على ذلك.

وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وكان يجزم بذلك ولا يقبل فيه خلافاً وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه ﷺ رآه واختار صاحب التحرير إثبات الرؤية قال: والحجج في ذلك كثيرة ولكنَّا لا نتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو حبر الأمة والمرجوع إليه في المعضلات وهو ينقل عن النبي ﷺ قوله: رأيت ربي.

ويخلص صاحب التحرير إلى أن السيدة عائشة لم تخبر عن النبي ﷺ وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١] ولقوله

تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣] .

والصحابي إذا قال قولًا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة، وإذا صحت الرواية عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد.

وقد قال معمر بن راشد: ثم إن ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي. ما سبق في موضوع الرؤية ملخص من كلام صاحب التحرير.

قال النووي في شرح صحيح مسلم: فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول اللّه ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول اللّه ﷺ، هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه.

ثم إن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تنف الرؤية بحديث سمعته من رسول اللّه ﷺ، ولو كان معها حديث لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها.

فأما احتجاج عائشة بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣] فجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة واللّه تعالى لا يحاط به، وإذا ورد النص بنفي الإحاطة فلا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة.

وأما احتجاجها بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا

وَحۡيًا﴾ [الشّورى: ٥١] الآية فالجواب عنه من أوجه:

أحدها: أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام.

الثاني: إنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة.

الثالث: ما قاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة، وهذا الذي قاله هذا القائل وإن كان محتملًا ولكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام. وكلاهما يسمى وحياً.

وأما قوله من وراء حجاب: يسمعون كلاماً من حيث لا يرونه... اهـ من شرح مسلم للنووي.

واختلف العلماء هل كلَّم نبينا محمد ﷺ ربه بواسطة أو لا؟

حكى الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه وعزاه بعضهم إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم. وأنكره بعضهم.

واختلف العلماء في آيات النجم.

صحح بعض العلماء أن النبي ﷺ رأى جبريل على صورته الحقيقية مرتين: مرة في الأرض ومرة عند سدرة المنتهى. وروي ذلك عن ابن مسعود وعن أبي هريرة، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً أنه رأى ربه سبحانه وتعالى واللَّه أعلم.

ونقل الإمام النووي في شرح مسلم أن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أن المراد رأى ربه ثم اختلفوا فقال بعضهم رآه بعينه وقال بعضهم رآه بفؤاده أو رآه بقلبه أي جعل بصره في فؤاده واللَّه أعلم.

الفهرس

تم الصف والإخراج
بشركة غراس للطباعة - الكويت
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥

من كتب المؤلف

١- مناهج الدعوة وأساليبها.
٢- فقه الدعوة.
٣- النبي محمد ﷺ .
٤- السيرة النبوية والغزوات.
٥- فضل الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان اللّه تعالى عنهم وبحث في تمحيص أحداث الفتنة وتبرئة الصحابة عامة العقيدة الإسلامية.
٦- الحج.
٧- علم الفرائض.
٨- علم النحو.
٩- تفسير سورة الكهف.
١٠- الدعوة في الكتاب والسنة.
١١- نصوص دعوية من الكتاب والسنة.
١٢- علوم القرآن.
١٣- إرشاد الطلاب إلى الصواب.
١٤- المذكرات الشخصية للشيخ محمد علي مشعل وملحق خاص بعلماء حمص.

العنوان:
الكويت ص ب ٩٥٧ السرة - الرمزي البريدي: ٤٥٧١٠
هاتف نقال: ٩٦٤٨١٧٦ / ٠٠٩٦٥ فاكس: ٢٤١٣٣٦٩/ ٠٠٩٦٥
website : www. mashal.ws
Email : bari6667@hotmail.com
a@www.net
المراسلات باسم: **الدكتور عبد الباري مشعل**